باسم الله الرحمن الرحيم

*تفسير السوره الشريفه: المائده*

سميت هذه السوره بالمائده لان الله تعالي يخبر فيها عن مائده اُنزلت علي عيسي( ع )و الحواريين معه، كما يقول: اذ قال الحواريون يا عيسي ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائده من السماء…

فهذا وجه تسميه هذه السوره. انزل الله تبارك و تعالي مائد تين من السماء، اخبر في هذه السوره عن نزولهما، احداهما علي عيسي ابن مريم و الحواريين و امته، فجعلوا يوم نزول هذه المائده عيدا لهم و هو يوم الاحدي من الاسبوع، و المائده الثاني مائدة روحي انزل الله تعالي علي محمد( ص )و امته و هو يوم غدير خم، اذ قال رسول الله( ص ): اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا...

فولاية اهل بيت رسول الله( ص )مائدة انزلت من السماء للمسلمين، فيها الفواكه من العلم و الحكمه ما لايحصي، يتغذي بها ارواحهم كما تغذي بمائدة عيسي ابدانهم.

*تفسير الاية الاولي من هذه السوره*

يخاطب الله تعالي المومنين و يقول لهم: اوفوا بالعقود... و اعلم ان خطابات الله تعالي في كتابه مختلفه. فتارة يخاطب الناس و يقول: ياايها الناس، و تارة يقول: يا بني ادم، و تارة يقول: يا ايها الذين امنوا...…

فخطاباته عام و خاص، يدعوا عامة الناس الي الاسلام، و يدعوا المومنين خاصه الي العمل بالاحكام. فمن لم يقبل دعوة الاولي و لم يومن بالله، لا يامره الله تعالي بالصلوه و الزكوه و سايرالاحكام، لانّ من لم يومن باصول الدين، لا يكلف بفروعها….

و وقع هناك بحث بين علماء الاسلام، هل الكفار مكلفون بالفروع و الاصول و معاقبون بهما، او انهم مكلفون بالاصول، و معاقبون علي ترك الاصول فقط ؟

فبعضهم قالوا انهم معاقبون بالفروع كما انهم معاقبون بالاصول. فيعاقبون بترك الصلوه و الزكوه والصوم والحج، كما يعاقبون بترك الايمان بالله تعالي و ترك الاقرار بما جاء به محمد( ص ). و بعض منهم يقولون ان الكفار مكلفون بالاصول فقط و معاقبون عليها. فلا يؤمرون بالصلوه و الزكوه الا بعد ان امنوا بالله العظيم .

والحق ان الكفار اذا تركوا الاصول، تركوا معه الفروع. فان الفرع يتبع الاصل. فاذا لم يكن اصل لم يكن فرع ابداً. فان دين الله تعالي طريق الي الجنه، فمن سلك الطريق دخل الجنه و من ترك الطريق و لم يسلكه هوي في النار. ان الاصول بمعني الطريق و الفروع بمعني الحرکة فيها و طيّها. فان لم يکن الطريق لم تکن الحرکه .

فان الكفار اذا لم يؤمنوا بالله العظيم و كفروا بما جاء به الانبياء يلجئون علي كسب القدره ليقاتلوا به المؤمنين و يلجئون علي كسب قوي الناريه فيهلكون بها انفسهم فيعذبون بها ابداً و ليس الله بظلام للعبيد…

ثم ان الله تعالي يامرنا في هذه الايه بالوفاء بالعقود و العهود. و العقود جمع ( العقد ) و العقد يترجم بالفارسيه( بستن قراردادها ). و هو عهد يقع بين انسانين علي الحقوق الماليه و غيرالماليه، كعقد الا زدواج. يتعاهد الزوج و الزوجه ليكونا زوجاً و زوجه، و عقد البيع يتعاهد المالك ان يجعل ملكه لاخيه و ياخذ منه العوض، كمن يبيع داره او سيارته او شيئا ًاخري. فيامرالله تعالي المؤمنين بان يوفوا و يثبتوا علي ما تعاقدوا. فلا تخرج الزوجة من دار زوجه و لا يدع الزوج زوجته و لا يتصرف في ملك باعه و غير ذلك…

يقول الامام ( ع ):المؤمنون عند شروطهم...يعني يجب علي كل مؤمن ان يكون علي شرط شرطه لا خيه او وعد واعده لاخيه. فمن وفي لعهد عاهده لاخيه المومن، وفي لعهد عاهده لربه.

ثم ان الله تبارك و تعالي يخبرنا في هذه الايه بانه احل لنا البهائم من الانعام الا ما يتلي علينا و يحرم علينا منها. والبهائم جمع البهيمه، حيوان يرتع مما ينبت من الارض و لا تغتذي من الميتة و سايرالحيوانات، كالغنم و الابل و البقر، اهلية كانت او وحشيه. و سميت بهائم لبهمها لانها لا يدرك بما يحفظ نفسه قبال السباع، و تحتاج الي حافظ يحفظه و يرعيه علي وجه الارض، كالاغنام و الابال، و سميت انعاما ًلانها نعمة من الله تعالي خلقها للانسان ينتفع به. فهي طيب حلال، ياكله الانسان بعد الذبح و التذكيه علي شرائط الاسلام. فان مات حتف انفه او ذبح و قتل علي خلاف الاسلام كانت ميته فيحرم. كمايقول الله تعالي: الا ما يتلي عليكم...اي يتلي عليکم ما يحرم من الانعام.

ثم ان الله تبارك وتعالي يخبرنا في هذه الايه عن حرمة الصيد في حال الاحرام، يقول: لاتقتلوا الصيد و انتم حرم.... يعني بذلك لا يجوز لكم ان تحلوا لا نفسكم صيد الحرم في حال الاحرام. فمن دخل الحرم محرما ًمن الميقات، لبس لباس الاحرام و لبّي التلبيه و نوي زيارة بيت الله فهو محرم، يحرم عليه في حال الاحرام امور كانت جائزة له قبل دخوله في الحرم، و منها صيد حيوانات الحرم من الغزال و البقر الوحشيه والابل و الطيور بجميع انواعها. فلا يجوز لاحد ان يصيد مثل هذه الطيور او يعين احدا ًعلي الصيد او يشير للصياد الي الصيد. فمن صاد حيوانا في الحرم فقد اثم و يجب عليه الكفاره، و من اكل لحم الصيد فقد اثم ايضاً و يجب عليه الكفاره. فمن صاد حماراً وحشياً او بقراً او ابلاً وحشياً اوغزالاً و ظبياً يجب عليه الكفاره بمثل ذلك من البهائم. فكفارة الظبي و الغزال غنم، و كفاره البقر الوحشي بقر مثله.

و في الاية الثانيه ينادي الله تعالي المؤمنين و يقول: لا تحلوا شعائر الله و لا الشهر الحرام و لا الهدي و لا القلائد و لا امين البيت الحرام…. فيامرالله تعالي عباده المؤمنين بتعظيم الشعائر، و يقول في ايه اخري: و من يعظم شعائرالله فانها من تقوي القلوب…. و الشعائر كلمة جمع اخذ من الشعور و مفرده الشعار. و الشعائر هي الاعمال و الاقوال التي يشعر بامر الله تعالي و ما فيها من المصالح، و الشعار يوجد الشعور، و الشعور بمعني العقل. فكل شعار يوجد شعورا ًبالله تعالي، و الشعار و الشعور متلازمان. فالاذان و الاقامه شعار يشعرنا التوحيد، و النبوه و الولايه و المساجد كلها شعار يذكّرنا ربنا، و شهر رمضان شعار يوجد فينا شعورا ًبالله تعالي و دينه، و أشهر الحرم مثل ذي القعده و ذي الحجه و محرم الحرام و شهر الرجب كذلك من شعائرالله، يجب علي المؤمن تعظيم الشعائر و حفظها. لانها دلائل يدلنا علي ربنا و ديننا و اخرتنا و يقضي الينا ما جعل الله فيها من المصالح و المنافع، مادية کانت او معنويه.

فيعدّ الله تعالي من الشعائر: الهدي و القلائد و حجاج بيت الله الحرام. فالهدي بمعني الهديه و هو ما يذبحه الانسان يوم العيد من الغنم و البقر و الابل، هديهً لربه تعالي، و القلائد انعام من الابل والبقر و الغنم، يقلّده القارن ياتي بها من خارج الحرم الي الحرم ليذبحه قرباناً لله تعالي. فان الحاج علي ثلاثه اقسام: متمتع و قارن و مفرد، حج الا فراد و حج القران و حج التمتع. فالمتمتعون زوار بيت الله، يقصدون البيت من البلاد النائيه عن الحرم، لا يسكنون الحرم و ما حوله، و القارن و المفرد حجاج بيت الله الساكنين حول الحرم. فهولاء الحجاج الساكنين حول الحرم يخرجون من بيوتهم الي الميقات ومن الميقات الي العرفات و الي المني و الي بيت الله. فبعضهم يقصدون البيت مفرداً، لا يجيئون بهديهم، و بعضهم يجيئون البيت بهديهم. فمن يجئي بهديه فهو القارن، يقلّد معه بقراً او ابلاً او غنماً، و من لم يجئي بهديه فهو المفرِد، يجئي الي بيت الله فرداً مفرداً لا شيئي معه.

ثم ان الله تعالي يذكر لنا في هذه الايه حكمة النسك و مراسم الحج، يقول: يبتغون فضلا من الله و رضواناً...

فيبين لنا انكم تبتغون رضوان ربكم بمناسککم، فيرضي عنكم الهكم و يؤيدكم و ينصركم و يهديكم الي الايمان. فكل حكم من احكام الله انما حُكم به ليطلب الانسان رضي ربه.

ثم يقول: فاذا حللتم فاصطادوا. يعني بذلك اذا عملتم باحكام الحج و اتيتم بالمناسك كلها تحلون من احرامكم فيحل لكم كلما حرم عليكم بالاحرام من الصيد و اتيان النساء و الطيب و الاستظلال و الحلق و التقصير.

ثم يقول الله تعالي: و لا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا...

فيرغبنا و يشوقنا ربنا ان نتخذ بهذه السنه السنيه الذي يؤلف الله تعالي به بين قلوبنا و يجمع به شملنا و يجعلنا قوياً عظيماً مهيباً في قلوب اعدائنا و يقوم بنا علي الكفار ان يتسلطوا علينا، فيقول خذوا بهذه السنه و اشكروا ربكم عليه و لا يجرمنكم بغض اعداءكم و شئون ما يکونون عليه ان يصدوكم ببغضهم هذا عن بيت الله الحرام.

فان اعداء المسلمين يطلبوا المسلمين بضعفهم و جهلهم ليتسلطوا عليهم، فلايحبون قوتهم و شوكتهم و لايحبون سنة الحج و قيام الناس حول بيت الله الحرام، فيشنئون عليهم عمل الحج و يخوّفون المسلمين ان اقدموا علي زيارة بيت الله، يطلبون منهم ان يكونوا مجرماً يتركون سنه الحج و سنن الاسلام، فيعتدون حدود الله تعالي.

فكان كفرة قريش في صلح الحد بيبه شنئوا رسول الله ص و منعوه عن زياره البيت. فلما فتح رسول الله( ص )مكه، احب بعض المسلمين ان يمنعوا قريشا عن الحج كما منعوا رسول الله( ص ). فقال الله تعالي لاتكونوا مجرما ًمثل هؤ لاء الكفار فتعتدون عليهم ان صدوكم عن المسجدالحرام. فتارة يمنع المسلمون قريشاً عن الزيارة لبغضهم اياهم، و تارة يمنع الكفار المسلمين عن الزياره لبغضهم اياهم، فيترك المسلم زيارة بيت الله لما يعلم بان الكفار يبغضهم لهذه الزياره. فكل ذلك يمنع الله تعالي و يقول: لا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجدالحرام...

ثم يامرالله تعالي المسلمين بان يتعاونوا علي البر و التقوي و ينهاهم ان يتعاونواً علي الاثم والعدوان. والتعاون من كلمه العون، اتي به من باب التفاعل، يدل علي ان يكون كل مسلم معاونا لغيره من المسلمين و كلهم ينصر اخاه المسلم علي البر و التقوي .

فينبغي ان يوصف دين الاسلام بدين التعاون، كما يوصف مكتب الكفار بد ين التنازع. فالكفار يقولون يجب علي كل انسان ان ينازع غيره لبقاء حياته، فيسرق مال غيره لبقاء ماله، و يهتك عرضه لبقاء عرضه و يقتل غيره لبقاء حياته، والاسلام يامر بعكس ذلك، يقول عاونوا غيركم بمالِکم ليكثر ماله و يثبت عرضه و يحيي نفسه، يقول: من احيا نفساً فكانما احيا الناس جميعا و من قتل نفساً فكانما قتل الناس جميعا…. فدين الاسلام دين التعاون للبقاء و دين الكفار دين التنازع للبقاء. ينازعون بعضهم بعضا لبقاء نفسه.

ثم يهدّد الله تعالي من يترك التعاون علي البر و التقوي و يعاون الناس علي الاثم و العدوان، يقول: ان الله شديدالعقاب…. و هو تعالي يعاقب قوما يتعاونون علي الاثم و العدوان، و عقابه يظهر في الاخره، يعذبون بنار الجحيم.

ثم انه تعالي في الايه الثالثه يبين لنا بعض ما حرم علينا لينجينا من الهلكه في ديننا و دنيانا، لانه تعالي انما حرم علينا الخبائث من الماكولا ت و المشروبات لان الخبائث ما يسقمنا ويمرضنا ويذهب بطيب عيشنا ويهلكنا، وهذه المحرمات المذكوره في هذه الا يه احدها الميته، و هي حيوان من الغنم او البقر او الابل، مات حتف انفه. فما مات من الا نعام حتف انفه يحرم و ينجس و يضرك اكله فتهلك.

ومن المحرمات: الدم المسفوحه من الحيوان حين ذبح. فهذه الدم ايضاً اذا خرج من بدن الحيوان والا نسان يفسد فينقلب ذا مَضرّة كثيره ياتي علي الانسان بالدواهي فيقسو باكل الدم قلب الانسان، يذهب رحمته و مروته.

و من المحرمات لحم الخنزير. والخنزير من المسوخات، يعني من الحيوانات التي مسخ الله تعالي انساناً غضب عليه بشكله، كما مسخ قوما من امه عيسي. نزلت عليهم المائده، اكلوها وكفروا بالله العظيم فمسخهم الله تعالي خنزيرا. و اذا غضب الله تعالي علي انسان فمسخه يحوّله بصورة اخبث الحيوانات ليكون ذلك المسخ نكالا له و لامثاله. و القرده و الخنازير من اخبث الحيوانات اذ مسخ الله تعالي قوماً من اليهود و النصاري بصورتها. فلو كانتا طيبين لم يمسخ الله الكافرين بشكلها. فلحم الخنزير من الخبائث، يحرم علي الانسان. يورث الدواهي والامراض و يزري بانسانيته، يذهب بعقله و ايمانه و مروته و يذهب ايضاً بالعفه والغيرة من النساء و الرجال لانهما من لوازم العقل و الا يمان. فمن اکل لحم الخنزير تجرء علي الله تعالي بعصيانه فيذهب عقله و ايمانه .

و مما حرم الله تعالي في هذه الا يه حيوان اوغذاء اوشراب اهل لغيرالله به. فقال: حرمت عليكم ما اهل لغير الله به. فكلمة( اُهلّ )فعل مجهول اخذت من الهلال، والهلال شيئ يظهر فيشعر بظهوره معناً مخصوصاً كمثل الهلال في اول كل شهر، يظهر في الافق، يعلن الناس بظهور شهر جديد. فيقال: هلا ل شهر رمضان او شعبان و غيره، ويقال للصبي اذا ولد و صاح: استهل الصبي، لانه يعلن حياته بصيحته. فيقول الله تعالي يحرم عليكم ما اهل لغيرالله، اي يحرم عليكم غذاء و شراب يعلن بدين غير دين الله، و بمحبة انسان غير محبة الله، لان الماكولات و المشروبات اذا ذكرعليه اسم الله و هيأت لعباد الله ياكله العباد و يعلمون انها رزق من الله تعالي رزقهم، يشكرون الله بهذه الماكولات والمشروبات. فيقال انها اُهلّ لله تعالي لانها يشعر بعظمته يدعو الاکلين الي محبة الله تبارک و تعالي و رحمته. و اذا هيأت الغذاء للاصنام و الطواغيت، ياكله الانسان و يعلم انها رزق رزقه الا صنام اوالطواغيت. ياكله فيشكرالاصنام و يجر بهذه الماکولات الي الکفر و العصيان. فيقال هذه الماكولات والمشروبات اهل لغيرالله، لانها يجعل في قلب الانسان محبة الا صنام، يقربه اليها و يبعده عن دين الله. و لذلك حرم الله تعالي كل ماكول و مشروب يجر بالانسان الي غير دين الله و محبته.

و من المحرمات في هذه الايه الشريفه: المنخنقه من الا نعام. والمنخنقه اسم الفاعل اخذت من الخناق، و الخناق و الاخناق بمعني سد التنفس و حبس التنفس، يموت به الا نسان و الحيوان، يترجم بالفارسي( خفگي ). فاذا مات حيوان بحبس التنفس صارت مخنّقه، كما اذا غرق في الماء و لم يقدرعلي التنفس فمات. او اخذ بحلقومه فحبس عن التنفس فمات. يحرم مثل هذه الحيوان من الانعام فيصير ميته. و ينجس ايضاً المخنقه من غير الانعام كالذئب و النمر و الاسد و غيرالماكولات، ينقلبن ميتة نجسه.

فان الحيوانات علي قسمين: ماكول و غير ماكول. فالماكول منها ما يوکل لحمه كمثل البقر و الغنم والا بل، وحشياً كان او اهليا. و غير الماكول منها ما يحرم لحمه كمثل الأرنب و الثعلب و الذئب والنمر. فالماكول يحل بالتزكيه، يوكل لحمه و يلبس جلده، و غيرالماكول ايضاً يطهر بالتزكيه. لايحل لحمه ولكن يلبس جلده و صوفه و وبره و شعره في غيرالصلوه، و كلاهما يحرمان لبسه و اكله اذا كانت مخنقه.

و من الانعام المحرمة لحمها: الموقوذه والمترديه والنطيحه. فالموقوذة ما قتل بالضرب المهلك بالحجر او بالخشب و غيرذلك. فمن قتل حيوانا ًبالخشب و الحجر تصير ميته فتحرم الا ان يزّكي قبل موته. و المترديه حيوان يطرح من شاهق علي الارض فيموت، او يطرح من جبل في الوادي فيموت قبل التزكيه. والنطيحه حيوان يموت بنطح حيوان اخري كالبقرات ينطح بعضها بعضاً. كذلك الا غنام ينطح بعضها بعضا. و النطح يترجم بالفارسي( شاخ زدن ). فلو مات بقر او غنم بالنطح او بالعقر او بغير ذلك فمات حتف انفه يحرم الا ان يزكي قبل الموت.

و منها ما ياكله السبع. كغنم اكله ذ ئب او نمر او اسد. فلو افترس غنم او بقر بسبع فمات حُرّم الا ان يذكّي قبل موته، كما يقول الله تعالي: الا ما ذكيتم... و هذه الا ستثناء يرجع الي كل ما سبق من المنخنقه وغيره . فالغنم اذا ذكّي بعد ان اشرف بالموت بضرب او سقوط او سبع يحل لحمه.

و من المحرمات: ما ذبح علي النصب. والنصب والا نصاب جمع النصب وهي ما يعبد دون الله عزوجل، حيواناً كان او شجراً او نباتاً او سايرالاجسام من الجمادات او ما يجسّم و يمثل من انسان او حيوان او شجر و غير ذلك. فكل ما يعبده الانسان دون الله عزوجل صنم اونصب. يسمي باسامي مختلفه من الجبت و الطاغوت و الود و السواع و اليعوق و النسر. فمن قرّب لتلك الاصنام قرباناً فذبح لهن غنماً او بقرا او نحر ابلا يحرم تلك المذبوحات اكلها و تصير كالميته. يطرح عند الكلاب او السباع تاكلها. فهي كالميته لا يجوز للمسلم المومن اكلها.

و الحكمة في حرمة هذه المذبوحات انها تدعو الا نسان الي عبادة الا صنام و تدعوه ان يشرك بالله العظيم. لانّ مِن الدواعي الي الحق او الباطل غذاء يغتذي به الانسان او مال ينتفع به. ان الانسان يحب منابع يغتذي به او يجلب به المال و الثروه. فلو اخذت طعمتك من الله تعالي تحب الله علي ما رزقك فتعبده و تسجد له. ولو اخذتها من يدي الشيطان او الا صنام تجر بهذه الطعمه اليهم فتحبهم فتعبدهم فتترك دين الله وراء ظهرك و تشرك بالله العظيم. فما اضرّ مالا او غذائا تحملك علي الشرك و يمنعك عن اطاعه الله تعالي و رحمته. فلذلك حرّم علي المومن كل مال اهل لغير الله و كل لحم ذبح علي النصب.

و من المحرمات ما يقسم بالازلام. و الا زلام سهام من خشب لكل واحد منها نصيب من لحم الغنم التي يذبح، و هي سبعة اسهم، كانوا يقسمون اللحوم علي هذه السهام . فمن خرج له سهم كذا له قسمة معينه من اللحم، و من لم يخرج له سهم لم يكن له نصيب. فهذه ايضاً من انواع القمار و الميسر. حرم الله تعالي اللحوم و الا موال اللتي يقسم بهذه الكيفيه.

ثم يخبرالله تعالي في ختام هذه الايه عن تلک المحرمات و يقول: ذلکم فسق اليوم يئس الذين کفروا من دينکم فلا تخشوهم و اخشون...

و الفسق بمعني الهتک. و منه الهتاک، و هو المعتدي. فالفسق اعتداء و خروج عن اطاعة الله تعالي و حدوده. فمن اکل و انتفعع بتلک المحرمات فقد خرج عن حدود دينه الي نار جهنم. ثم يقول لو راعيتم و حافظتم حدود الله تعالي و کنتم متدينا بدينه يئس الذين کفروا من دينکم. فيعلمنا بان دينه حصار رفيع و حصن منيع يحفظ من تحصن بهذا الحصن عن هجمة الکفار و طغيانهم. و يشبّه الکفار بالسباع و شر منها، و يشبه الدين بحصن في الفلوات. فلو صال سبع او وثب ذئب عليک في الفلوات ثم تجد هناک حصنا يحفظک عن السباع کيف تصنع؟ أما تفرّ منها و تحصن بهذا الحصن؟ فالد نيا فلات فيها من السباع والذ ئاب ما لايحصي. يصولون علي الانسان فيهشمونه و ياکلونه. و هناک حصن جعل الله تعالي فيها و هو دينه و حرمه الامين. فالتجئ بهذا الحرم تنجِ في هذا الملجأ من الذئاب و الکلاب. و لذلک يقول فلا تخشوا الکفار ان تحصنتم بهذا الحصن لانکم بعين الله و حفاظته و حمايته، يمنع الکفار و يکف اذ يهم بکم. فاخشوا ربکم ان يدعکم و يترککم و يخرجکم عن دينه و حصنه و يطرحکم لدي السباع.

ثم يخبرالله تعالي في هذه السوره عن اکمال دينه واتمام نعمته فيقول: اليوم اکملت لکم دينکم واتممت عليکم نعمتي و رضيت لکم الاسلام دينا...

و هذه السوره و الايات فيها اخر السور و الايات التي نزلت علي رسول الله ص. فاکمل الله تعالي بنزول هذه السوره دينه و اتم علي البشر نعمته. و جاء في الروايات و التفاسير ان هذه الجملات نزلت علي رسوله يوم الغدير حين عرّف رسول الله ص عليا و اقامه مقامه فقال: معاشر الناس ألست اولي بکم من انفسکم؟ قالوا بلي يا رسول الله. فقال: من کنت مولاه فهذا عليّ مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره و اخذل من خذله... و امر الناس ان يبايعوا عليا و يقولوا في بيعتهم يهنّونه باميرالمومنين. فقاموا و بايعوه. فلما ان أ قام عليا مقامه و نصبه خليفته و وصيا له، انزل الله تعالي هذه الايه في هذه السوره و قال: اليوم اکملت لکم د ينكم... فکبّر رسول الله ص من بعد نزولها فقال: الله اکبر و اکمال الدين و اتمام النعمه بولاية علي اميرالمومنين ...

و يدل هذه الايه علي انه لو لم يقم عليا مقامه لکان دين الله تعالي و نعمه ناقصا و کيف يکمل دين بلا امام و امير من قبل الله تعالي. فالدين مکتب وعلم وهدايه و کتاب وامر و نهي لابد له من قائد يقود الناس و يسلک بهم مسلک ربهم و لابد لدين الله من هاد يهتدي الناس به. فعلي ع هادٍ و الناس مهتدون به. فکيف يکمل دين بلا امام. و ما من نبي الا و اقام وصيا بعده لابقاء دينه و هداية الناس، کما يقول في دعاء الندبه: و لئلا يزول الحق عن مقره و يغلب الباطل علي اهله.. فکيف يمکن ان يموت رسول الله ص و هو خاتم النبيين بلا وصي و وصايه و لم يقم للناس خليفة بعده. و اقامة الولاية من اهم المسائل الد ينيه التي لو لم کن لم يکن دين الله تعالي و لذلک يقول الامام ع: ما نودي بشيئ کما نودي بالولايه... فاکمل الله تعالي دينه باقامة علي مقام رسول الله ص و رضي للناس بالاسلام دينا بامامة علي و اهل بيته عليهم السلام.

يدلنا علي انّ هذه الايه نزلت في يوم معين مخصوص بکلمة: اليوم... فکلمة( اليوم )عرف بالالف و اللام الحضوري يدل علي يوم معين مخصوص و هو يوم( الغد ير ) و لم يقرء رسول الله ص هذه الايه الا بعد مراسم الغدير. فالاية في اخر سورة نزلت علي رسول الله ص في يوم معين مخصوص دليل علي ان اکمال الدين انما يکون بولاية علي و الائمه عليهم السلام .

و بعض الناس يقولون بان اکمال الدين بيان هذه المحرمات و الاحکام في هذه الايه من حُرمة الدم و الميتته و لحم الخنزير. يقولون لمّا انزل الله هذه المحرمات اخبر باکمال دينه.

فنقول في جوابهم اولا هذه المحرمات نزل في غيرهذه السوره و في غيرهذه الايه، و ما اکثر ايات يذکر الله تعالي حرمه الميتته والدم ولحم الخنزير. فاقرأ سورة الانعام قبل هذه السورة و الايات الاخري. فتري الله تعالي اخبر عن حرمه هذه المحرمات و لم يخبر بانه اکمل دينه و اتم نعمته. فان العلم و الدين انما يکمل بانسان يعلمه لا بکتاب ينزله فقط. و ثانيا ان هذه المحرمات و ان نزل علي رسول الله ص في يوم او ليلة، الا اَنّ الله او الرسول لم يعرّفا يوما نزلت فيه تلک المحرمات، و عرّفا يوما اقاموا عليا ع بالخلافه والوصايه، و کيف يرضي الله تبارک و تعالي بدين و امة لم يکن له امام يعلمهم و يهديهم؟

فالدلائل قطعيّ علي ان هذه الجمله في هذه الايه نزلت في شان علي ع، و بذلک اخبر المعصومون عن رسول الله ص. ثم يقول في اخرالايه، يرخّص للمومن و المسلم ان ينال من تلک المحرمات المذکوره اذا اضطر اليه فقال: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم... و لذلک يقول الامام ع: رفع من اضطررتم اليه... فمن اضطر الي اکل ميتة او لحم خنزير او ما ذبح علي نصب او الي ما حصل من آلات القمار يجوز له ان ياکل منها لدفع الاضطرار. و يقول الفقهاء في قاعدة الفقهي: الضرورات تبيح المحذورات. .يعني اذا اضطر الانسان علي محرم فوجب عليه ان ينال منها لدفع الضرر، يباح له کل محذور ممنوع. والاضطرار اخذ من الضرر من باب الافتعال، تدل علي ان الضرر الوارده يوقع الانسان في المهلکه حيث يجب عليه لحفظ نفسه ان ياکل محرما. و الضررهناک ضرر نفساني لا ضرر مالي، کمن يموت جوعا لو لم ياکل الميتة او لحم الخنزير او، من يموت بالمرض اذا لم يشرب الخمر. و لا يجوز لاحد ان ينال تلک المحرمات لدفع ضرر مالي، کمن يريد ان يشري اللحم بثمن غال و هناک ميتة يسد به جوعه. فلا يجوز ان يحفظ ماله و ياکل الميته، الا في مقام يقع في مهلکة نفساني لو دفع ماله.

ثم يقول في الايه الثالثه و الرابعه يذکر لنا الطيبات کما ذکر لنا المحرمات. فقال تسئلک امتک عما احل لهم فقل في جوابهم ان الله احل لکم الطيبات کما حرم عليکم الخبائث. فالخبيث و الطيب ملاک الحرمة والحليه. فما کان خبيثا من الماکولات المشروبات يحرم اکله و ما کان طيبا منها يحل اکله. و الخبيث ما يتنفر منها طبيعه الانسان لانه يضر بالانسان کالابوال و المدفوعات من الحيوان و الانسان و الحشرات کمثل الدود و الذباب و کل لحم منتن و الطيبات کمثل الانعام من الحيوانات مثل الغنم و البقر و الطيور و الاسماک. خلقها الله تعالي طيبا طاهرا نظيفا مفيدا مقويا لمزاج الانسان. فحرّم الله تعالي الخبائث لئلا يتضرر الانسان بها و احل الطيبات لئلا يحرم الانسان منها. ثم يذکر ما احل لنا مما يصل الينا من اهل الکتاب من الماکولات والمشروبات، فيقول أحل الله لکم طعام الذين اوتوا الکتاب من قبلکم من اليهود و النصاري و احل الله لهم طعامکم. وانما قال ذلک لئلا يظن المسلمون ان طعام اهل الکتاب نجس حرام علي المسلمين اذ جعل الکفار نجسا. فقال دفعا لهذا التوهم ان الله تعالي احل لکم طعام اهل الکتاب. و الطعام هناک بمعني الحبوبات من الُبر و الارز و الحمص و العدس و امثالها من الحبوبات النابته من الارض مما ياکله الانسان. فجوّز الله تعالي للمسلمين ان يشتروا هذه الحبوبات من اهل الکتاب او يبيعونهم حبوباتهم. و الطعام غير اللحوم. فحرم الله تعالي علي المسلمين ذبائحهم. فان ذبحوا غنما او بقرا علي خلاف سنه الاسلام ان لم نشترط للذابح ان يکون مسلما يحرم علينا شرائها و اکلها. و ان لم يذبحوا انعامهم يجوز لنا ان نشتري منهم فنذبحها علي سنه الاسلام. فهذه الايه احل للمسلمين ان يشتروا من اهل الکتاب ما يعيشون به الا اللحوم و الدسوم .

ثم يبين لنا ربنا نکاح الحلال والحرام و يقول: و المحصنات من المومنات والمحصنات من الذين اوتواالکتاب من قبلکم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين و لامتخذي اخدان... فيشترط ربنا شرائط يحل لنا بها المحصنات من المومنات و من اهل الکتاب فيقول احل الله لکم المحصنات المومنات. والمحصنات نساء من الفتيات و الثيبات جعلن انفسهن بعفافهن في حصن ولايه الله فلايعرضن انفسهن للرجال و لا تتبرجن ليجلبن عليهن الرجال. و المحصنات جمع المحصنه، اخذت من الحصن و هو علي قسمين: محصنة في حصن البعل و محصنة اخري في حصن العفه و الايمان. فالمحصنات من القسم الثاني يجوز نکاحهن. اذن الله تعالي للرجال ان يخطبوهن اما بنکاح دائمي او بنکاح انقطاعي. و المحصنات من القسم الاولي و هنّ المتبعّلات، حرم الله تعالي علي الرجال خطبتهن فضلا نکاحهن. فمن خطب ذات بعل و هو عالم بتبعلها حرمها الله تعالي عليه ابدا، و من واقع ذات بعل يرجم الي ان يقتل. فالاية المربوطة بقسم الاول في سورة النساء حيث يعدّ الله تعالي المحرمات من النساء من الامهات و الاخوات الي ان يقول: و المحصنات من النساء الا ما ملکت ايمانکم. و في هذه الايه يذکر الله لنا المحصنات التي يجوز للرجال خطبتهن و نکاحهن.

فيذکر لنا هناک قسمين من المحصنات. الاولي المحصنات من المسلمات و المومنات والثاني المحصنات من اهل الکتاب من اليهود و النصاري. فيجوز للرجال نکاح المحصنات من القسم الاول نکاحا دائميا و يجعلهن کفوا للمومنين اذ لم يذکر لهن اجرا و لا يجوز نکاح المحصنات من اهل الکتاب نکاحا دائميا بما يذکر لهن اجرا. فيقول: والمحصنات من اهل الکتاب اذا اتيتموهن اجورهن... و الفتاوي ناطقة بصحة نکاحهن انقطاعيا. و هناک يظهر سئوال لابد له من الجواب. فيقال کيف يستخرج من هذه الايه و من عدم ذکر الاجر ان الله تعالي جعل المحصنات المومنات کفوا و لم يجعلهن من اهل الکتاب کفوا للمسلمين؟ فيجاب بان المومنه کفو للمومن بقول رسول الله ص فيما روي عنه. قال: المومن کفو للمومنه... و الکفو اهل للبيت و اهل البيت شرکاء فيما يرزقهم الله تعالي من المال و الثروة کالاولاد. فلا يجوز ان يجعل الله تعالي لاحد من اهل البيت اجرا ماليا و يجعل الاجر لمن لم يکن من اهل البيت کالاجير.

ثم ان الله تعالي يذکر في ذيل هذه الايه لطيفه من المعاني يبين فيها کيفيه نکاح المحصنات من اهل الکتاب بعقد انقطاعي يقول فليکن نکاحکم اياهن: محصنين غيرمسافحين و لامتخذي اخدان. يامرنا بان يکون زواجنا بصورة النکاح لابصورة السفاح، والنکاح غيرالسفاح. فان المتزانيين کالمتناکحين في الصوره. فان الزاني والزانيه يرتضيان بعضهم بعضا، فتختار المراة المرء برضي نفسها و المرء کذلک، علي خلاف حکم الله و سنة رسول الله ص. فلا يرضي الله تعالي عملهما و ان کانا يتناکحان بطيب انفسهما. فاحل الله تعالي النکاح و حرم الزنا و السفاح. ثم يقول لا يتخذ بعضهم بعضا خد نا لانفسهم ان يترابطا بکيفية الخدنه، يترجم بالفارسي( دوست گيري و رفيق بازي ).

ثم يقول الله تعالي في اخرالايه، يذکر حبط الاعمال: و من يکفر بالايمان فقط حبط عمله و هو في الاخرة من الخاسرين... فيشترط لثواب الاعمال و دخول الجنه بالعمل الصالح و هو الايمان. فيقول يثاب الانسان بعمله الصالح اذا کان مومنا بالله معتقدا موقنا بحيوة الاخره. يعمل عمله ليرضي عنه ربه و يدخله الجنه. و لذلک لايثاب الکافر باعماله و ان کان صالحا، لانه لم يرد بعمله اجر الاخره اذ لم يکن معتقدا بها و انما اراد اجر الدنيا، فينقطع عمله بموته و لا يوجر في الاخرة شيئا و هذا حبط الاعمال. فان الحبط بمعني الحبس. فالمومن يرسل عمله الي الاخرة لينتفع به، فلا يحبس عمله في الدنيا، و الکافر يحبس عمله في الدنيا يريد ان ينتفع به في الدنيا و لا يقدم عمله الي الاخره فيکون من الخاسرين .

و فی الاية السادسه يعلّمنا ربنا کيفيه الغسل و الوضوء والتيمم مقدّماً للصلوه و يامرنا بالطهارة قبل عبادته. فانه تعالي طاهر في وجوده و ذاته و يحب الطاهرين المطّهرين، يقول: ياايهاالذين امنوا اذا قمتم الي الصلوة فاغسلوا وجوهکم و ايديکم الي المرافق و امسحوا بروسکم و ارجلکم الي الکعبين... و في هذه الجملات يبين لنا کيفيه الوضوء و المسح. و يوجب علينا الوضوء حين اذ قمنا للصلوة. فالوضوء واجب مقدمتا و ليس بواجب نفسا. فاذا اردنا ان نصلي لربنا او نطوف بالبيت الحرام يجب علينا ان نتوضّأ، نکتسب بها الطهاره و نَرُدّ الي ربنا طاهرين. فالوضوء بنفسه ليس بواجب ولکنها مستحب في نفسها. يستحب للانسان ان يکون متوضّئا في کل حالة من الحالات. و يتأکد استحبابه للنوم و للقعود علي المائده و لذکر الله تعالي و لقرائة القران و لکل خير يتقرب به الي الله تعالي. و يجب لکل صلوة واجب او مستحب و لِمسّ سطور القران و اسماءالله تعالي و الائمه ع ، و انما يستحب في نفسها فامرنا بها.

فيبين لنا ربنا کيفيه الوضوء و المسح، .يامرنا بغَسلتين و مَسحتين. غسل الوجه و اليدين و مسح الراس و الرجلين. فيبدء غسل الوجه من قصاص الشعرالي طرف الذقن طولا و ما يبلغه الابهام والوسطي من الاصابع عرضا و لايجب ان يتخلل بماء الوضوء شعر اللحيه بخلاف الغسل. فانه يتخلل بمائه شعر الراس و اللحيه و ساير المواضع. و وقع الاختلاف بين المسلمين في کيفيه الوضوء. فقالت العامه من اهل السنّه يبدء الغسل من الاصابع الي المرافق استدلالاً بظاهرالايه اذ يقول: اغسلوا ايديکم الي المرافق.. و کلمة( الي )للانتهاء. فينتهي الوضوء بالمرافق. و قالت العلماء من الشيعه تبعا لائمتهم، يبدء الوضوء من المرافق الي الاصابع. و قالوا بانّ( الي )انما يدل علي الانتها، اذا بدء بكلمة( مِن )، و اذا لم يبدء يکون مجملا، يبين مقدار المغسول لا کيفية الغسل. و امرنا نبينا ان نفسرالقران کما يفسره اهل البيت ع و امرتنا الائمه ان نبدء من المرافق الي الاصابع.

و دليل اخري علي صحة غسل اليدين من المرافق الي الاصابع انها اوفق بالفطرة و العاده. فان فطرة الانسان تقضي في الاغسال ان يذهب الماء بالاوساخ من داخل البدن الي خارجها. فلو بدات الغسل من الاصابع الي المرافق تاتي بالاوساخ من الخارج الي الداخل کما تري غسالة الماء تجري الي المرافق و منها الي العضد و منها الي البدن. و لو بدات من المرافق الي الاصابع تذهب بالاوساخ من العضد الي خارجها. فالوضوء بهذه الکيفيه اطهر و اوفق للفطره.

ثم ان الله تعالي يامرنا بکيفية المسح يقول: وامسحوابروسکم وارجلکم الي الکعبين..

فاوجب الله تعالي المسح علي بعض الراس و الرجل لمکان الباء، و هکذا فسره الائمه ع. فلايجوز مسح تمام الراس و الرجل. فيبدء بمسح الراس و بعده بالرجل کما بدء الله تعالي به في الايه. ثم المسح يجب ان يکون بنداوة الوضوء. لان الوضوء من الوضائه، و الوضائه و الوضئ بمعني السناء و البهاء. يقال( رجل وضيئ ) و ( امراة وضيئه )، اي حَسَنُ الوجه. اراد الله تعالي ان يجعل وجه الانسان وضيئةً جميله بماء الوضوء. فهذه الماء تبرکت ببرکه الله تعالي وانه بارک ماءالغسل والوضوء فطهّربها قلب الانسان کما طهّر بها بدنه.فماء الوضوء متبرکة ببرکة الله.

ثم اراد الله تعالي ان يمسح بهذه الماء راس الانسان فيجعله مسيحا يزيد الله تعالي عقل الانسان بهذا المسح. فانما سمي ابن مريم مسيحا لان الله تعالي مسح راسه بيده فبارکه برکة عظيمه، يکلم الناس في المهد و کهلا. فاراد الله تعالي ان يجعل لکل انسان حظا من هذا المسح. فيَدُکَ المغسولة بماء الوضوء يد الله تعالي. فهذه الماء ماء بورک فيها فتمسح بهذا الماء راسک تکون مسيحا يوم القيامه. و روي عنهم ع ان المتوضّئون يدخلون المحشر مبيضّة الوجوه. فيجب علي ذلک ان يکون المسح بنداوة الوضوء .

ثم يذکرالله تعالي حکم الغسل بجملة واحده يقول: وان کنتم جنبا فاطّهّروا... و کلمة( فاطهروا )من باب التفعل من الطهاره. تقول( طهُر. تطهّر. )فيبدل التاء المنقوط بتاء المؤلّف فيجتمع حرفان من جنس واحد، يسکن حرف الاول للادغام فيوتي بهمزة الوصل فيصير( اطّّهر)بعد ما کان( تطّّهّر ). و التطهّر بمعني قبول الطهاره في الظاهر و الباطن. کانّ الله تعالي يقول طهّروا ظاهرکم و باطنکم. ولذلک يکون الغسل والوضوء من العبادات يجب فيه قصد القربه. فمن غسل بدنه بلا قصد او بقصد النظافة فقط، لايکون متطهرا مغتسلا، لانه لم ينوي القربة ليطهر قلبه وان نظف بدنه. فيامرالله تعالي الجنب من النساء والرجال ان يتطهروا و يغسلوا جميع البدن ما کان ظاهرا بالماء فيحصل له الطهاره ويرفع عنه الجنابه، يجوز له ان يصلي بهذا الغسل، وان يدخل المساجد و يطوف ببيت الله الحرام و اَن يَمَسّ کتاب الله. فهو من المطّهّرين الذين يقول الله تعالي فيهم: لايمسه الا المطهرون...

فيجب علي المغتسل بالماء القليل و الکثيران لايکون بدنه نجسا و ان کان نجسا يطهره قبل الغسل، لان الماء الذي يرفع النجاسة ينجس بمس البدن فلا يحصل بها الطهاره. و ايضا رفع النجاسه عمل خاص و الغسل عمل اخري فلا يشترکان. و ايضا يجب ان لايکون شيئا حائلا علي البدن يمنع وصول الماء بالبدن. فان کان علي بدنه شيئ يمنع وصول الماء اليه، يرفعه ثم يغتسل. فان کان الماء قليلا يغسل راسه و عنقه اولا ثم الجانب الايمن ثم الايسر، وان کان کثيرا يغسل تمام البدن مرة واحده.

ثم ان الله تعالي يعدّ الغسل والوضوء طهاره، و من کان علي طهارة يجوز له ان يصلي بها و يعمل عملا اخري مشروطة بالطهاره مثل الطواف و مس کتابة القران، و لذلک اَفتي العلماء بجواز الصلوه بغسل الجنابه. لان الله تعالي صرّح في کتابه بان الغسل من الجنابه طهارة مثل الوضوء. و يقول العلماء الطهارة علي ثلاثه اقسام: غسل و وضوء و تيمم. ولم يجوّز العلماء الصلوة بساير الاغسال مثل غسل الحيض و النفاس و غسل الجمعه. فاوجبوا مع تلک الاغسال الوضوء ايضا. و اَفتي بعض العلماء جواز الصلوه بايّ غسل من الجنابه و الحيض و غيرها لان کل غسل طهارة في حد ذاته، يجوّز به الصلوه. و في بعض الروايات عن الائمه ع قالوا( ايّ وضوء اَطهر و اَنقي من الغسل )والحق معهم، لان الغسل طهارة بصراحة هذه الايه. و لا يغسل احد کل غسل الا بقصد القربه. فيحصل بکل غسل الطهاره. و ان الله تعالي صرّح بان الغسل من الحيض طهاره اذيقول: فاذا تطهّرن فاتوهن من حيث امرکم الله ... فيحصل بهذا الغسل طهارة ايضا، يجوز معه الصلوه.

ثم ان الله تعالي يذکر في هذه الايه حکم التيمم و نواقض الوضوء يقول: وان کنتم مرضي اوعلي سفراو جاء احد منکم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا...

فيبين لنا جواز التيمم بدلائل ثلاث يقول لوکنتم مريضا و لم تقدروا ان تستعملوا الماء فتيمموا. فالمريض او المجروح الذي لايقدر من شدة الضعف ان يتوضئ او يزيد مرضه لو توضئ او يدوم جراحته باستعمال الماء فيجوز له التيمم و يحرم عليه الوضوء او الغسل لما يوذي باستعمال الماء، و لايجوز لاحد ان يوذي نفسه لقول رسول الله ص( لاضرر و لاضرار في الاسلام ). و الدليل الثاني علي جواز التيمم بدل الغسل او الوضوء المسافره. فمن کان علي سفر و لم يجد مائا، او وجده و کان له لازما لحفظ نفسه، او لحفظ حيوان معه او انسان من العطش، لايجوز له ان يستعمل الماء بل يجب له ان يتيمم لقوله تعالي: و ان کنتم علي سفر و لم تجدوا مائا... و المسافر اذا کان في فلات يجب عليه ان يفحص عن الماء غلوة سهم في سهل و جبل وغلوة سهمين في فلات من الجوانب الاربعه. والثالث من دلائل جوازالتيمم عدم وجدان الماء و ان کان في بيته و وطنه. فمن لم يجد الماء بعد فحص لازم و ان کان بشراء، او وجد الماء و کان له او لغيره واجبا لازما لرفع العطش، يجب عليه التيمم. فيذکرالله تعالي لنا ما يوجب التيمم وهي الحدث والخبث، يقول: ان جاء احد منکم من الغائط او لامستم النساء... فلمس النساء يوجب الحدث فيجب عليه الغسل، والخروج من الغائط يوجب الخبث فيجب عليه الوضوء. فان لم يجد ماء ليتوضئ او يغتسل فيتيمم. فيذکرالله تعالي في هذه الايه کيفية التيمم، يقول: فتيمموا صعيدا طيبا... اي تيمموا علي وجه الارض ان کان طيبا طاهرا. و وجه الارض کان من تراب او من حجر او من رمل او مملوة من النباتات فيجوز التيمم علي کل ما علي وجه الارض مما خلقه الله تعالي و ان کان من مثل المعادن.

ثم يذکر الله تعالي في الايه السابعه عهد عاهده الي الناس ان يکونوا مطيعا لرسول الله ص و لايردّوا اليه امره، يقول: و اذکروا نعمه الله عليکم و ميثاقه الذي واثقکم به اذ قلتم سمعنا و اطعنا و اتقواالله ان الله عليم بذات الصدور... و يامرنا بذکر النعمة و الميثاق. و لاشک في ان هذه السوره و هذه الايات نزل بعد واقعة الغدير. والسورة المائده اخر سور القران نزل من السماء و لم ينزل سورة بعده. فيذکّرنا في هذه الايه نعمة الولاية و معاهدة الغدير. لان النعمة في هذه الايه و سائرالايات فسرت بولاية علي ع. والدليل علي هذه التفسير اخبار کثيرة من الائمه و اية الغدير في القران. لان الله تعالي انزل بعد الغدير حين اذ نصب علي لخلافة رسول الله قوله: اليوم اکملت لکم دينکم واتممت عليکم نعمتي ... فدلنا علي ان ولاية علي نعمة مکملة لنعمة النبوه. و قال رسول الله ص بعد نزول هذه الايه: الله اکبر و اکمال النعمة بولاية اميرالمومنين ع. والولايه نعمة اذا حصل للانسان حصل له کل النعم من الماديات والمعنويات في الدنيا والاخره و اذا لم يحصل له هذه النعمه لاينال بنعمه في الدنيا و الاخره.

فنزول هذه الايه بعد واقعة الغدير دليل بيّن کامل علي ان المقصود من النعمة و الميثاق نعمة الولايه و عهد عاهده رسول الله ص يوم الغدير. فقام فيهم و حوله ماة وعشرون الف من المسلمين. ثم خاطبهم و قال: معاشر المسلمين يوشک ان ادعي فاجيب و انه لابد لکل نبي من وصي يقوم مقامه في امته... ثم قال: ألست اولي بکم من انفسکم؟ قالوا بلي يا رسول الله. فقال: من کنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه... و الخطبة طويلة اخذنا منها ما هو المعروف بين المسلمين. ثم دَعا رسول الله ص المسلمين ان يبايعوا عليا و يسلموا له باِمرة المومنين. فبايع المسلمون کلهم. فعليهذا يامرهم الله في هذه الايه ان يذکروا هذه الميثاق لانهم حين البيعه قالوا: سمعنا و اطعنا..

ثم يامر الله تعالي المومنين بعد آية الميثاق ان يکونوا قوامين لله شهداء بالقسط... و ينهيهم ان يجرمنهم شنان قوم من الکفار و المنافقين علي ان لايعدلوا، يقول لهم: اعدلوا هو اقرب للتقوي و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون... ثم يعدهم بانهم لو امنوا و عملواالصالحات يغفر لهم و يجعل لهم اجرا عظيما و يوعدهم بانه لو کفروا و کذبوا بايات الله يکونوا من اصحاب الجحيم. و هذه الايات الثلاثه يؤکّد للمسلمين ان يراعوا عهد الولاية و الميثاق لانه بعد ما بينّا بان المقصود من النعمه و الميثاق في هذه الاية النازله بعد واقعة الغدير ولاية اميرالمومنين. فهذه الايات يوکد برعاية الولايه و يقول: کونوا قوامين لله شهداء بالقسط... يعني بذلک اقيموا الحق باقامة راية الولايه و اشهدوا عند الناس ببيعه الغدير لئلا تکونوا ظالمين بترک هذه الشهاده. لان الناس لو ترکوا ما عاهدهم الله ان يکونوا مطيعين لولاة الحق و ضيعوا هذا الحق العظيم، ضاع معه کل الحقوق. فاقامة الولايه قسط يحيي معه کل الحقوق و يحيي باحياء الحقوق القسط و العداله بتمامها و کمالها. و لو ضاع هذا الحق العظيم اعني ولاية الله و ولاية اولياءالله صاروا الناس کانهم ايتام قتل ابوهم والکافل بِرِزقهم و حياتِهم. فلا يقوم عدل بهذا الظلم العظيم. فيامر الله تعالي الناس ان يذاکروا فيما بينهم ولاية اولياءالله و يشهدوا عند الناس بولاية ولاة الامر. لان الشهادة عمل يحيي به الحقوق و يموت بها الظلم و الطغيان. فيامرهم الله تعالي في هذه الايه بالعداله والتقوي. فترک المسلمون هذه الشهاده و لم يراعوها بعد رسول الله ص. فقامت فيهم الطغاة الجفاة و احلوا قومهم دار البوار. ثم يعدهم الله تعالي في الايتين بعدها ما يعد المومن و الکافر.

ففي الاية التاسعه يعد المومنين الذين يعملون الصالحات بان يغفر لهم و يوجرهم علي اعمالهم اجرا عظيما. فيعد المومنين في هذه الايه نعمتين، احدهما المغفره و الثاني اجر العظيم. فلابد ان يکون هناک مناسبة بين المغفرة و الاجر العظيم اذ رتّب الله تعالي بعضها علي بعض. فليست المغفرة کما يظنون بمعني العفو عن المعاصي اذ المومنون الذين يعملون الصالحات لم يعصوا ربهم ليعفو الله عنهم بل المغفرة بمعني التربية و التقويه، يکمل بها عقل المومن و ينشئ استعداده، يخرج قواه المدخر في وجوده من القوة الي الفعل کما تقول اهل الحکمه. فاذا نشا المومن بعقله و فکره و رفع عنه نواقص وجوده يتهيئ بنفسه لقبول الاجرالعظيم. فان المومن اذا کان ناقصا في عقله و قواه کالصبيان و ضعفاء العقول لم يطلب من الله اجرا ليستحقه. فبالغفران يجعل الله تعالي للمومن قابلية ليتقبل و ينتفع بعطية ربه کما قيل: العطيات بقدرالقابليات... ينشا اعمال المومن اِما عن قصور و اما عن تقصير. فالمقصر عاص لله تعالي يجب عليه ان يتوب عن عصيانه فيعفو الله تعالي عنه، و القاصر معاف باعماله لايعصي ربه بل يقصر بعقله و قواه عن طاعه الله تعالي. فمن ترک الصلوه و الصوم مثلا و هو يعلم ان الله امره بهما و هو يقدر ان يصلي و يصوم و لا يفعل، جرأة علي الله، فهو عاص ربه بترک الصلوه و الصوم، يعذب في الاخره الا ان يتوب قبل الموت و يقضي ما فات عنه. و من ترک الصلوة و الصوم بضعف عقله و جهله جهل امر الله تعالي و ضعف عقله فهذا يترک الصلوة و الصوم بقصوره لا بتقصيره، و يقال له الجاهل القاصر، کما يقال للاول الجاهل المقصر. فالجاهل القاصر يعصي ربه بضعف عقله و شعوره و قلة مبالاته. .يعصي ربه و لايدري بانه عصاه. لا يصوم و لا يصلي و لا يدري بانه ترک الصلوة و الصوم. فيعده الله تعالي المغفره. فاذا علم و عقل امر الله تعالي و قدر ان يطيع ربه يتوب الله عليه و يعطيه رشده و يکمل له عقله الي ان عرف ربه فيطيعه. فالجاهل المقصر معذب، و الجاهل القاصر معفو عند الله تعالي، مغفورعنه. والمومنون يعصون ربهم بقصورهم لا بالتقصير و الکافرون يعصون ربهم بالقصور و التقصير فلا يتوبون .

فالقاصرون المذنبون باعمالهم يحتاجون الي مغفرة الله. فاذا امنوا بربهم واحبوا ان يطيعوه يُقويهم الله تعالي و يوفقهم ليتوبوا و يطيعوا ربهم. و لذلک يقول الله تعالي: تاب الله عليهم ليتوبوا... بمعني يوفقهم الله و يويدهم بنور العقل و الايمان ليکونوا قادرين علي اطاعه الله و ترک المعاصي. و اما المقصرون فهم المتجرّئون علي الله يُمرضون قلوبهم بالعصيان کمن يجرح بدنه بالسکين. فاذا تابوا عن عصيانهم يعالج الله تعالي مرضهم و يعف عنهم اثار المعاصي. و العفو بمعني المحو، يمح الله تعالي اثار المعصية عن قلوبهم.

ثم انه تعالي في الايه العاشره بعد هذه الايه يوعد الکافرين المکذبين و يهددهم بانهم اصحاب الجحيم. فانه تعالي لا يعد المومنين بنعمته و رحمته الّا و يوعد الکافرين بنقمته. و الايعاد من باب الافعال و هي( الوعد بالشر )کما انها اذا کانت ثلاثيا يکون( وعد بالخير ). فاذا وعدت احدا بخيرک تقول: وعدته، و اذا وعدت احدا بشرّک تقول: اوعدته. فالله تعالي يوعد الکفار بعذاب النار و هذه العذاب لا ياتي الکفار باراده الله تعالي بل ياتيهم بعملهم و ارادتهم. فان الناس اذا اعرضوا و مالوا بانفسهم عن طريق الحق، يکونون في طريق الباطل قهرا بلا ارادة منهم و لا من الله تعالي. فهم في طريق الضلاله، يظلمون بعضهم بعضا و يعذبون بعضهم بعضا الي ان يوقدون علي انفسهم نارجهنم. فلا يظلمهم الله و لکن کانوا انفسهم يظلمون.

ثم ان الله تعالي في الاية الحادي عشر يامرهم ان يذکروا نعمة الله عليهم و ان يتقوا ربهم و يتوکلوا عليه. و هذه الايه و ان نزل فيما اراد طائفه من اليهود من بني النظير ان يقتلوا رسول الله ص و اخبرالله تعالي رسوله بکيدهم و کف ايدي اليهود عنه ولکن الاية في هذه السوره يذکر المسلمين بنعمة الدين و الولايه، و هذه نعمة عظيمة، اِن داموا و کانوا فيه يکفّ الله عنهم کل شر و عذاب في الدنيا و الاخره. کما روي عن الامام ع قال: ولاية علي ابن ابي طالب حصني من دخل حصني امن من عذابي... و في رواية المشهوره من الامام الثامن عليه السلام: کلمة لا الاه الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي... فولاية الله تعالي و رسوله نعمة للمومنين يکف الله تعالي بها ايدي الکافرين ان يبسط اليهم .يقول: يا ايها اللذين امنوا اذكروا نعمة الله عليکم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليکم ايديهم فکف ايديهم عنکم و اتقوا الله و علی الله فليتوکل المومنون...

و روي في شان نزول هذه الايه ان بني النظير الذين سکنوا المدينه قبل مجيئ رسول الله ص کانوا قتلوا رجلين من المسلمين في فتنة وقع بينهم. فعاهدهم رسول الله ص علي اعطاء الديه. فعاهدوا رسول الله ص ان يؤدّوا دية هذين المقتولين. ثم عاهدوا يوما ان ياتيهم رسول الله ص، ياخذ منهم الديه و وافقوا فيما بينهم رجلًا ان يقتل رسول الله ص حين اذ اتيهم فيرم علي راسه بالحجاره من علا السقف. فلما جاءهم رسول الله ص و جلس دون حائط اخبره جبرائيل بکيدهم. فخرج ص الي بيته فانزل الله تعالي هذه الايه وذکرالمسلمين بانه کف عنهم شر هولاء اليهود.

و في الايه الاثني عشر يخبر الله تعالي عن شانٍ من شئون بني اسرائيل، يحتج عليهم بتلک الشان ان يومنوا برسول الله ص. يذکّرهم اوّلا بما اخذ عنهم الميثاق بنقبائهم الاثني عشر، بعثهم الله تعالي فيهم. فانهم کانوا اسباطا اثني عشر من ولد يعقوب، يتحاسدون فيما بينهم، لايطيع بعضهم بعضا و لا يتبع سبط منهم راي سبط اخري. و من شدة حسدهم ما فعلوا بيوسف اخيهم اذ جعلوه في غيابت الجب. فبعث الله تعالي من کل سبط رئيسا ليتبع کل سبط رئيسهم. فجمع الله تعالي هولاء النقباء فعاهدهم و وعدهم انه تعالي يکون معهم يحافظهم و يحاميهم و يدافع عنهم شر اعدائهم. فعاهدهم علي ان يقيموا الصلوة و يوتوا الزکوه و يومنوا برسل الله الذين يبعث الله تعالي فيهم، و يؤيدوا الرسل و يقوّيهم و يقرضواالله من اموالهم قرضا حسنا، ولکنهم خالفواهذه المعاهدات و نبذوه وراء ظهورهم. فقتلوا الانبياء و خالفوا خاتمهم ص .

فيعدهم الله تعالي بعد هذه الشرائط و المعاهدات ان لو فعلوا ذلک يکفرعنهم سيئاتهم و يدخلهم بعد تکفيرالسيئات جنات تجري من تحتهاالانهار. فهذه الشرائط کلها طريق لو سلکوها وصلوا بسلوکها الي تکفير السيئات و دخول الجنه. فهذه الاحکام و الشرائط بمنزلة الطريق الي المقصد. فبعض الناس يظنون ان الله تعالي يامر عباده و ينهي ليکون حاکما عليهم. و يظنون بانه لا فائدة في الاوامر و النواهي الا الحاکمية فقط. فيخبرهم الله تعالي بان الاوامر و النواهي طريق يصل بها السالک الي ما وعد الله. فالمعاصي بمنزله النجاسات والکثافات ينجس بها العاصي، و بعد النجاسة يحتاج الي الطهاره. و الاوامر طريق الي الفوائد اللتي تکون فيما امرالله تعالي. فبالصلوة يتقرب الانسان الي الله و بالزکوه يزکو و ينمو نفسه و ماله و يکسب المحبة في قلوب العباد، و بالايمان بالانبياء و تقويتهم يصل الي عدالة شامله و مدينة فاضله، يأمن فيها من الحوادث. و لو لم يعمل بهذه الاحکام لم يتطهر و لم ينل خيرا ابدا.

ثم يخبر الله تعالي في الايه الثالث عشر عن بني اسرائيل بانهم نقضوا ميثاقهم فيما بينهم و بين ربهم. فان موسي عليه السلام عهد الي بني اسرائيل عهدا ان يقيموا فيما بينهم التورات، يعملوا بما يامرهم و يترکوا ما ينهيهم و يومنوا و يطيعوا نبي زمانهم الي خاتم النبيين ص وعاهد بني اسرائيل ان لو رأوا خاتم الانبياء محمد( ص ) يومنوا به و يطيعوه و يترکوا ما بايديهم مما اخذوا من الانبياء قبلهم. و اخبرهم موسي بان في ايدي اصحاب محمد ص سيوفا ينتقمون بها من الامم الکافره. فنقضت بنواسرائيل عهدالله و ميثاقه و کفروا بعد ايمانهم، فسلّط الله عليهم الجبابره من الملوک وقال في هذه الايه: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم و جعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الکلم عن مواضعه و نسوا حظا مما ذکروا به.... فاخبرعن نتائج ثلاثة يدهمهم بنقض الميثاق. الاولي شمول لعن الله تعالي عليهم. الثانيه قساوة قلوبهم. الثالث محروميتهم عن نعم الله تعالي. قدّر لهم في الدنيا و الاخره بما ترکوا دين الاسلام وراء ظهورهم. و هکذا المسلمون ترکوا ولاية علي ع. و ذلک لان المعاهدات بين الانسان و ربه مثل اطاعه الانبياء و اقامة الصلوه و ايتاء الزکوه و غيرها من العبادات و الاحکام کلها طريق يسلکه الانسان، يصل بسلوکه الي رحمه الله و يصل بها الي روح التقوي و الايمان يکتسب بهذا السلوک حب الله تعالي و حب اوليائه و حب البشريه کلهم. فيخدم الناس و الدين، يدخل به الجنه .

والسلوک الي الله تعالي برعاية الاحکام کالسلوک من بلد الي بلد. فمن لم يسلک لم يصل المقصد فيبعد عنه. فمن لم يسلک طزيق الدين لم ينل رحمه الله فهو ملعون مبعد عن رحمه الله. و اما قساوة القلوب نتيجة بُعده عن رحمة الله. فمن بعد عن الرحمه حرم محبة الله و محبة المومنين، و من حرم محبة المومنين يظلمهم ليسلب عنهم دنياهم، و من ظلم عباد الله قسي قلبه، ثم تکثرالقساوة بکثرة الظلم الي ان يلتذّ بظلم الناس و هراق دمائهم. فمن کان في هذه الصفات و الحالات ينسي حظه من رحمة الله في الدنيا و الاخره و يعذب بعذاب الابد.

يصف الله تعالي في هذه الايات قوما من اليهود متصفا بهذه الصفات فنقضوا ما عاهدهم الله تعالي فيما انزل علي موسي، الّّا يظلموا انفسهم و لا يخرجوا اقويائهم ضعفائهم عن ديارهم و يتبعوا انبيائهم. فعملوا خلاف ذلک. عملوا بالمعاصي واکل قويهم ضعيفهم و قتلوا انبيائهم فلعنهم الله و غضب عليهم. يخبرالله تعالي المسلمين ان لايکونوا کمثل اليهود ينقضون ما عاهدهم نبيهم بغدير من امر ولاية اميرالمومنين والائمه الطاهرين ع. و کان نزول هذه السوره و هذه الايه قريب عهد بيوم الغدير و هذه السوره اخر سورة نزل علي رسول الله ص بعد حجة الوداع. فعاهدهم رسول الله ص يوم الغدير ان يکونوا في ولاية علي و الائمة من بعده و ان لا يختلفوا في امامة اوصيائه ليرجعوا بتلک الاختلاف عن الايمان الي الکفر فيضرب بعضهم رقاب بعض. فنقض المسلمون عهد الله و عهد رسوله، ترکوا ولاية علي و الائمة من بعده ثم هجموا عليهم ظلما و عدوانا الي ان انتهي امرهم بطغيان کبير مثل قتل الحسين ع، کما اخبر الله تعالي بذلک في کتابه حيث يقول: و الشجرة الملعونة في القران نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا کبيرا... فيحکي الله تعالي في هذه السوره نقض الميثاق من اليهود و يذکّر المسلمين ان لا يکونوا فيما عاهدهم الله و رسوله مثل اهل الکتاب. ولکنهم فعلوا ما فعلوا و کانوا شرا من اهل الکتاب، نقضوا عهد الله و عهد رسوله ص.

ثم يخبرالله تعالي في اية الاربعة عشر عن النصاري و نقض ميثاقهم، يقول: و من الذين قالوا انا نصاري اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذکروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الي يوم القيامه... فيخبر بان النصاري مثل اليهود نقضوا ميثاقهم الذي واثقهم ابن مريم. فعاهد عليهم عيسي ابن مريم ع ان يکونوا متحدين في دينه و شريعته، يطيعون و يتبعون اوصيائه ممن يبعثهم الله تعالي الي ظهور محمد ص خاتم النبيين و عاهد اليهم ابن مريم ان لو ظهر محمد ص خاتم النبيين يدَعوا ما بايديهم و يومنوا به. فنقضوا ميثاقهم و اظهروا الاختلاف في دينهم، اخرجوا اناجيل مختلفة بعد عيسي ع، يکذّب بعضها بعضا. فاختلفوا في ولادة ابن مريم ع الي ان قالوا بانه ابن الله و امّه صاحبته، غلوّاً في دينهم و في شان عيسي ابن مريم ع، الي ان قالوا هو الله رب العالمين. ففرّقوا في دينهم و کانوا شيعا يلعن بعضهم بعضا و يضربوا بعضهم رقاب بعض، و کم من حرب وقعت بينهم بعد نبيهم کما يقول الله تعالي: اغرينا بينهم العداوة والبغضاء الي يوم القيامه... فهم في هذا الاختلاف والتنازع حتي يقوم القائم ع، يحکم بينهم فيما کانوا فيه يختلفون .

وهذه الايه مما بيّن الله تعالي فيها بان قيام القائم ع هي القيامه حيث يخبر بان العداوة والبغضاء بين النصاري يکون باقيا الي يوم القيامه. و نحن نعلم من طريق الايات والروايات بانه اذا قام القائم يجعل الدين کله لله، و انه عليه السلام لا يدع دينا للبشريه الا دين الله تعالي. يظهر بقيامه تاويل هذه الايه حيث يقول: و قاتلوهم حتي لاتکون فتنه و يکون الدين کله لله... ففي قيامه و دولته ع لا يکون يهوديتا و لا نصرانيه و لا مجوسيه و لا دينا اخري من اديان اهل الشرک، و انه ع يفرض علي العالمين ان يکونوا مومنين او يکونوا هالکين. و يرفع الله تعالي بقيامه ع المهلة عن الكافرين، يسد عليهم باب التوبه. فحينئذ: لا ينفع نفس ايمانها لم تکن امنت من قبل او کسبت في ايمانها خيرا. فاذا کان و لابد من ظهور دين الله تعالي علي العالمين کلهم بقيامه ع ينتهي المسيحية بمسيحيتها، لايکون الا مسلما او کافرا هالکا. و کذلک اليهودية بيهوديتها. فلو کانت القيامه يوما اخري بعد قيامه ع يجب ان يکون المسيحيه واليهوديه باقية علي دينهم بعد قيامه، فلا يکون الدين کله لله تعالي. فاخبر الله تعالي في هذه الايه بان قيام القائم ع هي القيامه.

و هناک اية اخري في سورة ال عمران( ايه خمس وخمسين )ادلّ من هذه الايه علي ان قيامه ع هي القيامه حيث يقول الله تعالي يخاطب عيسي ابن مريم: اني متوفيک و رافعک اليّ و مطهرک من الذين کفروا و جاعل الذين اتبعوک فوق الذين کفروا الي يوم القيامه... فيخبر في هذه الايه بان امه عيسي ع تفوق سايرالامم من الکافرين الي يوم القيامه. فلو کانت القيامه بعد قيامه ع يجب ان يکون امته باقية علي دينهم بعد قيام القائم ع فتفوق الکافرين الي يوم القيامه، و هذا خلاف ما اخبره الروايات بقيام القائم ع بانه يقيم دين الله تعالي علي العالمين، يملاء الارض قسطا و عدلا. فلا دين غير دين الله و هو الاسلام. و اخبرت الروايات بان عيسي ابن مريم ع يکون مع الامام، يصلي خلفه. فکيف يمکن ان تکون المسيحية باقية علي دينهم و نبيهم يصلي خلف الامام ع. فقيامه ع هي القيامه .

هذا مع ان اخبارا کثيرة في کتب( البحار، کتاب القيامه )و کتاب( الزام الناصب )وردت و اعلنت بان قيام القائم ع هي القيامه. ففي کتاب الزام الناصب يسئل المفضل عن الامام جعفر ابن محمد الصادق ع عن وقت الظهور. فيجيب عليه السلام بانّ قيام القائم ع هي الساعه، لايوقّّت بوقت. فلا يترک الامام ع في هذا الحديث آية في القران فيها ذکر الساعه الا و يؤوّلها بقيام القائم. و في هذا الکتاب في تفسير اية الشريفة: و الذين يصدقون بيوم الدين... يقول الامام الباقر ع: و الذين يصدقون بيوم قيام القائم ع.... فعليک بالمراجعة في هذين الکتابين تري کيف فسرت الائمه ع ايات القيامه بقيام القائم ع. فلا يبقي شک في ان قيامه ع هي القيامه. و في کتاب( تحف العقول )في تفسيرالاية: حتي تضع الحرب اوزارها...يقول الامام ع: لا تضع الحرب اوزارها الا ان تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت الشمس من مغربها امن الناس کلهم و لاينفع نفسا ايمانها لم تکن امنت من قبل.

فيخبر الله تعالي في هذه الايه بانه يغری و يلقي بين النصاري و اليهود العداوة و البغضاء الي يوم القيامه، يکونون دائما علي حرب و فتنة بينهم الي ان يقوم القائم، فيعذبهم بکفرهم و ظلمهم قبل قيامه. فانه ع اذا قام يقبل الناس علي دين الاسلام بامامة ائمة المعصومين ع و يورث الارض کلها شرقها و غربها المومنين المتقين. يجعل نعم الله تعالي کلها خالصة للمومنين و يخرج ايدي الکفار صفرا، يستاصلهم و يقمعهم و يخرجهم عن بقاع الارض الي جحيمهم کما يقول الله تعالي: قل من حرّم زينه الله التي اخرج لعباده، قل هي للذين امنوا في الحيوه الدنيا خالصة يوم القيامه... فيخبر بان الله تعالي يجعل ما خلق من النعم خالصة بايدي المومنين و لايکون ذلک الا بقيام القائم عليه السلام، يخرج الکفار و الظلمه عن دائرة الحيوه الي الموت و الهلاک و يملأ الارض قسطا کما ملئت ظلما و جورا.  
و انما يقع العداوة و البغضاء بين اهل الکتاب بما ترکواالحق وراء ظهورهم و اقبلوا علي دنياهم بباطلهم و ذلک لانه لا يالف القلوب الا بالحق و الايمان، و لا يتنفرالقلوب الا بالکفر و الطغيان. و لو ان اهل الکتاب طلبوا الحق في دينهم و ترکوا الکفر و النفاق کما امرهم نبيهم، لم يقتلوا الانبياء و لم يکفر اليهود بنبوة عيسي ع مع ما رأوا بيده من المعجزات و انه يدعو بني اسرائيل الي الحق، و کذلک لم تکن النصاري واليهود يکفروا بنبوة محمد ص مع انه قام بدين الله تعالي يدعو الناس الي الحق، يامر بالمعروف و ينهي عن المنکر و انه النبي الذي بشّر به موسي و عيسي و ساير النبيين ع بظهوره، لما يقع العداوة و البغضاء بينهم. فلما ترکوا دين الله وراء ظهورهم و اقبلوا علي الدنيا وقع العداوة و البغضاء بينهم. وهم علي هذه العداوه الا ان يتوبوا الي الله تعالي و اسلموا بنبوة محمد ص. يقول الله تعالي : ولو ان اهل الکتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم برکات من السماء و الارض ولکن کذبوا فاخذناهم بما کانوا يکسبون .

ثم يخاطب الله تعالي اهل الکتاب يقول: قد جائکم رسولنايبين لکم کثيرا مما کنتم تخفون من الکتاب و يعفو عن كثير... يخبر اهل الکتاب اولا بانهم کتموا کثيرا من الاحکام و الحقائق و ما اُخبروا بظهور الانبياء بعد نبيهم ولاسيما ظهور محمد ص خاتم النبيين. فما کتموا في کتابهم علي امتهم ثلاثة اقسام. القسم الاولي کتموا المعجزات علي ايدي انبيائهم و اظهروها سحراً، لينکروا بذلک عظمة الله و عظمة نبيهم و يوهن اصل التوحيد و النبوة في افکار الناس ليسهل لهم الکفر و العصيان کما يخبر الله تعالي عن ذلک بما انکروا علي ملك سليمان ابن داود يقول: و اتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملک سليمان و ما کفر سليمان ولکن الشياطين کفروا... اظهروا للناس بانّ حشمة سليمان ابن داود کان بالسحر و التمويهات و لم يکن ملکه بسلطان الله تعالي و المعجزات .

فاقبل الناس بهذه التبليغات علي تعليم السحر و الکهانه. فتعلّموا السحر ممن يعلّمهم، يفرّقون به بين المرء و زوجه و يضلون به الناس بفسخ عقائدهم الحق و عقد عقائد الباطل. و حيث غلبت السحر و الکهانة علي حياتهم و ظهر فيهم الفساد و کفروا بالله العظيم بما ظنوا ان الانبياء کانوا ساحرين، انزل الله تعالي فيهم ملکين بصورة الانسان يعلمهم السحر و يخبرهم في تعليمهم بان السحر کذا و کذا و المعجزات کذا و کذا ليعرفوا حقيقة السحر بانها باطل، يهتدوا بذلک الي الحق المبين. يقول الله تعالي: و اتبعوا ما تتلواالشياطين علي ملک سليمان و ما کفر سليمان و لکن الشياطين کفروا....

و القسم الثاني مما اخفوا من التوراة، الاحکام والحدود. فالله تبارک و تعالي انزل اليهم الواح التورات بيّن فيها احکامهم وهداهم الي الخبيث والطيب من الماکولات والمشروبات والي الحلال والحرام في اموالهم. ثم وضع الله تعالي في کتابهم حدودا و قوانين لنظام اجتماعهم و تمدنهم، بيّن الحدود و الشرايع مما لو کانوا يحفظونها برعايتهم يظهر بينهم العدل و المواساة و المساوات، و کانوا في عيش هنيئ مريئ، يرحم فيها قويهم ضعيفهم و کبيرهم صغيرهم و يوقّر صغارُهم کبارَهم و داموا في امن وامان. فلما رات الاقوياء ان هذا الکتاب يراعي حق الضعفاء و يساوي بينهم بالقسط و العدل ولا ياذن لاحد ان يتجاوز حدوده و ان يعدو القويُ ضعيفا، هجموا علي هذا الکتاب و ضيّعوه و حرّفوه عن مواضعه و حذفوا منها الاحکام التي يساوي الحقوق بين القوي والضعيف. فجعلوا لاقويائهم و اشرافهم حقوقا و حدودا يخصّهم، لايقتلون ولايعزّرون بطغيانهم وعصيانهم، و لضعفائهم حدودا اخري يعذبون بها و يقتلون لو ارتکبوا صغيرة او کبيرة من الاثم والطغيان، الي ان جعلوا کتاب الله تعالي وصلة لهم، يصلون بها الي ما يريدون من الظلم والطغيان .

و القسم الثالث مما کتموا في کتبهم، العلائم التي يخبرهم نبيهم، يعرف به الانبياء من بعده و يامرهم باطاعتهم. فان موسي ع اَخبر امته بظهور الانبياء بعده و لاسيما خاتم النبيين ص و قال لهم بان علامة صدق الانبياء ان ياتيهم بقربان تاکله النار و ان ياتونهم بسلطان باذن الله تعالي، و اَخبر بظهور عيسي ابن مريم ع و عرّفه بانه ابن البرّه، امر امته بان يتبعوه، و اخبرهم بانه نور يظهر من جبل ساعير و نور اخري يظهر من جبل فاران. کذلک عيسي بشّر امته بظهور خاتم النبيين ص و انه يصعد الي السماء و ينزل منها، يولَد في المکه و يهاجر الي المدينه، .ينزل اليه کتاب الله، و اخبر بانه خاتم النبيين و امته خير الامم و خاتمها، وانّ بايديهم سيوفا ينتقمون بها من الامم الکافره. فاَخفَوا هذه العلامات کلها في کتبهم. فلما وُلد عيسي ابن مريم و اعلن نبوته انکروه و قالوا ليس هو ما اخبر موسي ع. کذلک لمّا ظهر رسول الله ص و اعلن بدعوته انکروه و قالوا انه نبي يظهر في اخرالزمان. فحذفوا هذه العلامات کلها عن کتبهم او کتموه علي العوام من الناس و کذّبوا نبي کل زمان الي ان قتلوه.

فيخبر الله تعالي اهل الکتاب في هذه الايات بصفات النبي الامي ص، يقول لهم بان محمدا ص رسوله، يبين لبني اسرائيل ما اخفوا علمائهم و رؤسائهم في کتبهم و هو لايتتبع کثيرا من جرائم اعمالهم، بل يعفوعن کثير من خطاياهم و يقبل عنهم دينهم بمحض اداء الشهادتين، او يترکهم بحالهم في ذمة الاسلام اِن لم يسلموا و لم يقاتلوا المسلمين او لم يعاونوا احدا علي الاسلام. ثم يصف الرسول ص بان الله تعالي يهدي بهذا الرسول من اتبع رضوان الله سبل السلام، .يهدي الناس الي دين و احکام لو قبلوه و عملوا به يکونون في سلم و سلامة في دينهم و دنياهم في الدنيا و الاخره، يغلق علي الناس بالمحرمات والنواهي ابواب الحرب والنيران والتنازع والتخاذل. فما من شيئ يضرهم في ابدانهم و ارواحهم و اجتماعهم الا و نهي الرسول عنه، و ما من شيئ يجرّ اليهم نفعا في ابدانهم و ارواحهم و اجتماعهم الا و امرهم به رسول الله ص. فکل حکم من احکام الاسلام و کل سنّة من سنن النبي ص و کل اية من ايات القران سبيل للناس يسلکهم الي دار امن و سلام .

لذلک يقول الله تعالي: يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات الي النور باذنه و يهديهم الي صراط مستقيم...( الاية السادسة عشر )

فالقران و سنن النبي و0الاحکام کلها من واجب و مستحب و حرام و مکروه طريق يهتدي به الانسان، يسلک به الي رضوان الله تعالي. لان کل حکم من الاحکام طريق الي نعمة من نعم الله تعالي يکسب به معرفة الله فيرضي العبد بتلک المعرفة عن الله تعالي و يرضي الله تعالي عنه. فهذه الاحکام کنسخة الطبيب سبيل الي الامن والسلامه باذن الله تعالي .

ثم يصف الله تعالي القران بانه صراط مستقيم يسلک بالانسان الي نعم الله بلا تعب و مشقه. والصراط المستقيم من کل مبدء الي منتهي اقصر الطرق الي المقصد و ابعدها عن کل تعب و مشقة و اقربها الي کل نعمة و راحة . فهذا هو الاسلام، الصراط المستقيم الي کل خير في الدنيا و الاخره.

و من الطرق الذي يجب علي الناس ان يسلکوها و يصلوا بها الي افضل النعم هو الطريق الي ولاية الله تعالي، ان يجعل ولي الله حاکما علي نفسه و اهل بيته، يهتدي في ظل ولاية هذا الحاکم الي رضوان الله و لطفه و رحمته في الدنيا و الاخره. فلو کان طلب هذا الولي و وجدانه برأي الناس و اختيارهم لضلوا کل الضلال و بعدوا عن الحق بعدا کثيرا و لايمکنهم ان يجدواالحق و ولاية الله بأرائهم. و لو اطاعوا في تلک المسئلة ربهم و سئلوا منه تعالي ان يعرفهم وليهم، لرأوا ولاية الله محيطا بهم و ولي الله علي ابواب دورهم، و ليجدونه بادني طلب و يهتدون به الي الصراط المستقيم. و فسر صراط المستقيم فيما روي عن الائمة ع بعلي ع و امام مفترض طاعته علي الخلائق اجمعين .

ثم يذکر الله تعالي في الاية السبعة عشر ما قالته النصاري في آرائهم و قضاوتهم في المسيح ع و ظنوا انه هو الله. فقالوا ان الله هو المسيح ابن مريم. فيردهم الله تعالي عن تلک الاراء السخيفه اذ اخذوا عبدا مخلوقا مکان الاههم و خالقهم. فقال: فمن يملک من الله شيئا ان اراد ان يهلک المسيح ابن مريم و امه و من في الارض جميعا... فيقول لهم ان کان المسيح هو الله لکان قادرا ان يحفظ نفسه و امه و احبائه من الموت و الهلاک. فانکم ترون المسيح کساير الناس الذين يلدون و يموتون و يعرض عليهم من العلل ما يعرض علي ساير الناس. فيرد الله تعالي قولهم و قضاوتهم في حق المسيح، فيعرّفهم بانه کساير الانبياء و المرسلين، کان عبدا محتاجا الي ربه يحيي باحياء الله و يموت باماتته .

ثم يؤکد قوله المشعر بان الموت والحيوة بيده يقول: ولله ملک السماوات والارض و ما بينهما يخلق ما يشاء والله علي کل شيئ قدير... فاذا کان الله هو الذي يملک اهل السماوات و الارض و هو الذي يخلق ما يشاء فيکون هو الله و لا يکون غيره من خلائقه الاها و ملکا، اذاً يتعدد الأ لهة و ينقلب کلاهما مخلوقين بتعددهما و محدوديتهما و عجز کل واحد منها ان يتصرف في ملک الاخر. فهو الاه واحد و غيره مخلوق، کلهم خلقهم الله تعالي بارادته و الله علي کل شيئ قدير.

ثم يذکر الله تعالي اليهود والنصاري ما يدّعون لانفسهم بلا دليل وبرهان يقول: و قالت اليهود والنصاري نحن ابناء الله و احبائه قل فلم يعذبکم بذنوبکم... فلا يجوز لاب ان يعذب ابنه او حبيبه و انکم ترون ان الله تعالي يعذبکم بذنوبکم کما يعذب ساير المذنبين. بل انتم بشر کساير الناس ممن خلق، يغفرالله تعالي منهم من يتوب و يعذب من يعصي .

ثم يقول: و لله ملک السماوات و الارض... فاذا کان الله هو الذي يملک السماوات و الارض فکل من يکون في السماوات و الارض مملوک له تعالي. فلا يجوز لاحد من الناس ان يدّعي التقرب الي الله بمخلوقيته و مملوکيته لان الخلائق کلهم من حيث الخلقة و المملوکيه في حد سواء. الجماد و النبات و الحيوان و الانسان کلهم مخلوقون لله تعالي .انما يتقربون اليه باعمالهم الصالحه و معارفهم .

ثم يخاطب الله تعالي اهل الکتاب ان يومنوا بنبيه يقول: يا اهل الکتاب قد جائکم رسولنا يبين لکم علي فترة من الرسل ان تقولوا ما جائنا من بشير و لا نذير...( التاسعه عشر ). فينبّه الله تعالي اهل الکتاب و العالمين بانهم کانوا علي فترة من الرسل. و الفترة من الفتور بمعني خلأ الفضاء او الزمان من شيئ حتي ينقطع اخر الزمان من اوله و اوله من اخره. فان الانبياء کانوا متصلين مرتبطين بعضهم ببعض من لدن ادم الي عيسي روح الله. فلا يموت نبي الا و يقوم مقامه نبي بعده. فلم يقع الناس في زمان خال من رسول او وصي رسول. فکان الناس کذلک. بعث الله تعالي لهم في کل زمان نبياً يدعوهم الي طاعه الله الي ان بعث الله تعالي عيسي ابن مريم ع و انزل عليه الانجيل . فعلّم الناس و اوصيائه ما علّمه الله تعالي من الحق. فلم يبعث الله تعالي بعد عيسي الي زمان محمد ص رسولا مشهورا يعرفه الناس. فکانوا يتعلمون الدين ممن تعلم من عيسي اوحواريه ويتعلمون من التورات والانجيل، و کان الله تعالي اتم علي الناس الحجة مما تعلّمواهذين الکتابين، و مما سمعوا من ابن مريم دينه و اخلاقه و عبادته. و کان قريش علي دين حنيف ابراهيم ع مما سنّ لهم السنن و نهج لهم شرايع الحج و کانوا يتعلمون شريعة ابراهيم من اباء الرسول و رؤساء الکعبه، و سمي الله هذه المدة بين عيسي و محمد ص فتره. فقال: يبين لکم علي فترة من الرسل... يعني بذلک ان الله تعالي بعث محمدا ص في زمان لم يکن لاهل الارض نبي و رسول من الله تعالي .

ثم يقول و يبين شأن الانبياء بانهم بشير و نذير و ما من نبي بعثه الله تعالي الا و کان من شانه ان يبشر الناس و ينذرهم و يوصف النبي بشيرا بما انه يبشر الناس و يعدهم عن الله تعالي ما ينالون من ثواب الاعمال الصالحه. کذلک لا يوصف نذيرا الا بما ينذر الناس و يخوفهم عما ينتج لهم کفرهم بالله تعالي و عصيانهم. فان الاعمال صالحا کان او طالحا، خيرا کان او شرا، کالبذور. يبذر به و يزرع في قلوب الناس ثم ينبت الي ان ينتج و يثمر فيرجع بهذه الثمرات الي عاملها و زارعها کما قيل: الدنيا مزرعة الاخره... فالقلوب بمنزلة الارض والاعمال بمنزلة البذور، يزرع فيها الي ان آن اَوان حصاده. و غالبا لاينتج الاعمال في الحيوة الدنيا لان الناس الذين هم بمنزلة ارض الزارعه، يموتون و يموت معهم البذور النابتة فيهم فينتقلون الي الاخره. فالمظلوم يموت بعد ما نبت فيه شجرة الظلم و الظالم کذلک يموت و لم يحصد ثمرة من شجرته. کذلک المحسن يموت و لم يرجع اليه احسانه، والمحسن اليه يموت ايضا و لم يقدر ان يجازي الاحسان بالاحسان. فلا ينتج الاعمال خيرا کان او شرا في الحيوة الدنيا لان الناس ارتحلوا منها الي الاخره و لما وقعت القيامة و حشر الناس ليوم الجمع. فهناک يثمر اعمالهم و يرجع بهذه الثمرات اليهم و لا يعرف احد ثمرات الاعمال من خير او شر الا الله تعالي. لان الاعمال ظاهر في الدنيا و ثمراتها غائب، يظهر في الاخره. و الانبياء هم الذين يعرفون الاعمال و نتائجها فيبشرون الناس باعمالهم الصالحه و ينذرونهم عما کان غيرصالح من اعمالهم. فهم مبشرون و منذرون، يصفهم الله تعالي بالبشارة و النذاره.

ثم يذکرالله تعالي في اية العشرين الي ستة و عشرين نبذة من احوال موسي ع. فان قصة موسي ع ذکر کرارا ومرارا في القران و ما من سورة يذکر الله تعالي قصة الانبياء فيها الا و يذکر فيها قصة موسي ع و يکرر قصته في صور مختلفه. و في کل مرة يذکر حادثة خاصة مما وقع له عليه السلام. فانّ قصة موسي ع وان کان مکررة بالعبارات لاکنها غير مکررة في المعاني. فيقول في هذه الايات ما ذکّر موسي بني اسرائيل نعمة الله عليهم اذ جعل فيهم انبياء و جعل منهم ملوکا و اتيهم بالانبياء و الملوک من القدرة و الثروة و الملک ما لم يؤت احدا من العالمين.

و بنو اسرائيل هم اسباط يعقوب من ابنائه الاثني عشر، اتاهم الله تعالي العلم و الحکمه و اتاهم الملک و القدره مثل ما اتي يوسف ع و اتاه ملک مصر و کذلک جعل بيد موسي ع الملک و النبوه. فکان موسي ع لهم نبيا و ملکا يؤمّن بني اسرائيل في ملکه و سلطنته و يکثر عليهم الفيئ و الارزاق و يجاهد اعدائهم و کذلک يفعل بهم بعد موسي ع. يختار الله تعالي رجلا منهم ليکون ملکا و رجلا اخري ليکون نبيا. فالملوک يستمدون من انبيائهم ويتعلمون منهم کيفية الحکم و العداله ، و الانبياء کذلک يرشدون الملوک و ينصحون لهم الناس في ملکهم، يتقوي ارکان الملوک بالنبوه ويتقوي الانبياء بالملوک في الهداية و الارشاد، و الناس في شعاع الملک و النبوة يعيشون في رفاه و رشاد.

ثم يذکر الله تعالي ما امر موسي ع قومه بعد خروجه من مصر و جوازه عن البحر، يامر قومه ان يدخلوا الارض المقد سة التي کتب الله لهم. و کان موسي ع يامر قومه ان يقاتلوابني عمالقه الذين تسلطواعلي الارض المقدسه و هي ملک ابراهيم الخليل .فان ابراهيم ع بعد ان اخرج من بابل دخل علي فرعون مصر و کان بينه و بين فرعون مصر قضايا مفصله، منها ان ابراهيم الخليل کان ذوغيرة کثيرة وکانت امرأته ساره جميلة جدا. فجعلها في صندوق قفل عليها بابها لئلا ينظر اليها الناظرون. و لما دخل ارض مصر و امتنع ان يفتح للمامورين باب الصندوق، طلب منهم ان يذهبوا به و بصندوقه الي فرعون مصر. فذهبوا به الي فرعون، و امره فرعون ان يفتح الصندوق. ففتحه فراي فرعون امرأة جميله فقال من هي لک ؟ قال ابراهيم هي اختي، خوفاً علي نفسه و انتظارا لمقادير الله. فمدّ اليها فرعون يده لياخذها لنفسه فيبست يده کالخشب لم يقدر ان يحرکها. فسئل ابراهيم عن ذلک فقال ابراهيم ايبس الله تعالي يدک لما راک علي الخيانه. فارجِع عما نويت يرجع الله اليک يدک. فرجع عن نيته و راي يده سالما. ثم لم يلبث الي ان مدّ اليها يده بالخيانه فيبست يده ثانية. فقال له ابراهيم هذه امراتي فلا تردها بالخيانه حتي يرجع يدک سالما. فان نويت ثالثة يبس يدک ولايسلم بعده. فرجع فرعون عن نيته وعلم من ذلک انّ لابراهيم ع عند ربه شانا يدافع الله عنه. فعظّم ابراهيم و قدّمه علي نفسه في المشي اجلالا له. فاوحي الله تعالي الي ابراهيم ان يرجع خلف الملک و يقدّمه علي نفسه، و قال له يجب ان يکون الملِک معظّما في اعين الناس مسلطاً عليهم لينتظم به امورهم . فتاخر بذلک عن الملک و قدمه علي نفسه. فلما سئله الملک عن ذلک اخبره بما امره الله تعالي. فلما راي الملک عِظم شان ابراهيم و امانته بصداقته قال له جعلتک حرا في مملکتي ، افعل ما شئت واختر لنفسک ما شئت من الامکنه و الاراضي. فاختارابراهيم لنفسه الارض المقدسة التي کتب الله تعالي له وهي ارض فلسطين و اورشليم و ما حولها. علِم من الله تعالي نزول البرکات علي هذه الامکنه و وعده الله تعالي ان يعطيه و ولده هذه الاراضي، يکثرفيها ولده و ذريته. فکان کما وعده الله تعالي کثر فيها له المال و الثراء جدّا و کثر له فيها الضياع و العقار و الاغنام، حتي عاش کانه المَلک في هذه الاراضي، ذوثروة و قدرة کثيرة جدا و لا يزاحمه الملک واتباعه بما راوا منه المعجزات الباهرات. الي ان ظهر يوسف وانتقل الي مصر واتيه الله الملک فيها و اجتمع بنوابيه من ولد يعقوب. کانوا في عزة وعيش هنيئة الي ان ظهر الفراعنه عليهم واذلوهم اشد ذلة کما يقول الله تعالي: يسومونکم سوء العذاب يذبحون ابنائکم ويستحيون نسائکم... الي ان رحمهم الله تعالي وآن اَوان نجاتهم من ايدي فراعنه مصر. فبعث الله تعالي موسي ع و کان بعد ابراهيم و يوسف الي زمان موسي خمس مأة سنه، و في هذه المده تسلطت عمالقه علي ملک ابراهيم و هي ارض فلسطين، الارض المقدسه. فلما اخرج موسي ع بني اسرائيل من مصر، اتي بهم الي الارض المقدسه و قال لهم يجب عليکم ان تقاتلوا العمالقه، تاخذوا منهم ملک ابيکم ابراهيم .

فيحکي الله تعالي عنهم في هذه الايات ما دعاهم اليه موسي و ما اجابوا دعوته. فقال لهم موسي: يا قوم ادخلواالارض المقدسة التي کتب الله لکم...، و هي ارض فلسطين ملک ابيکم ابراهيم و يعقوب، و لا ترتدوا علي ادبارکم ان تخالفوا امر نبيکم و ترجعوا الي فراعنة مصر و القبطيين فتنقلبوا ارقاء بعد حريتکم و ظهور دولتکم. فانهم کانوا کثيرا يعترضون علي موسي اعتراضا شديدا يقولون في اعتراضهم انا کنا متمتعين في اهل مصر، نعيش و ناکل علي موائد القبطيين ما نشاء فاتيتنا و اخرجتنا من ملک مصر و اتيت بنا الي الصحاري و الفلوات، لانري ماءً نشربها و لاغذاءً ناکلها فاشرفتنا علي الهلاک. فقال لهم موسي ع لاتسوء الظن بربکم فانه معکم لايريد بکم الا خيرا کماانقذکم من الهلکه و جاوز بکم البحر و اخرج لکم الماء من الحجر و الغذاء من السماء. فالان يجب علينا ان نقاتل بني عماليق نخرجهم من هذه الاراضي المقدسه وانه تعالي ينصرکم لو قاتلتم اعدائکم. فخاف بنواسرائيل القتال لشدة ضعف انفسهم اذ کانوا رقيقا اسيرا في ارض مصر، و قالوا ياموسي انّ فيها قوما جبارين فلانقدران نقاتلهم و انا لن ندخلها حتي يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون...

و هناک رجلان من قوم موسي کانا من اهل الايمان يسميان: بکالب ابن يوفنا و يوشع ابن نون، امنا بموسي واطمانّا بنصرة الله تعالي، امرا القوم ان يقاتلوا بني عماليق کما يحکي الله تعالي عنهم يقول: و قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما( بالايمان والتقوي )ادخلوا عليهم الباب(اي ادخلوا ابواب هذه البلاد بالقتال) فاذا دخلتموه فانکم غالبون.... فوعدوهم النصر من عند الله تعالي وهم يعلمون بان الله تعالي ينصر عباده المومنين کما رأوا النصر مرارا کثيرا منذ بعث الله تعالي اليهم موسي ابن عمران. فقالوا توکلوا علي الله تعالي ربکم و قاتلوا اعداء الله فانّ هؤلاء العماليق الکفرة الفجرة عبدة الاصنام تملکوا عليکم الاراضي المقدسه . فحرّضوهم علي القتال لکنهم امتنعوا لشدة ضعف انفسهم اذ کانواارقاء في ملک مصر، و ضعف النفس من خواص الرقيه وعدم الحريه. فمن اراد ان يکون قوي النفس فليخرج من عبادة عباد الله الي عبادة الله وليکن حرا مختارا في امره ليکون مسترزقا من الله، فيرزقه الله تعالي. فمن لم يسترزق من الله و کان کَلاً علي العباد يعبدهم و يسترزقهم، يضعف نفسه ولايکتسب عقلا عن معاشه .

فقالوا ياموسي: انا لن ندخلها ابدا مادامت الجبابرة فيها فاذهب انت و ربک قاتلوا الاعداء و اقتلوهم و اخرجوهم عن البلاد فاجعلوها لنا و بايدينا فانا هيهنا قاعدون .

فتوکلوا علي ضعف انفسهم و قعدوا عن الجهاد و القتال. فهناک استاصل نبيهم لما راي انه قام بامرالله و اخرج هؤلاء القوم عن سلطة الفراعنه و قام بهم الي الکفرة الفجره و هيئهم للقتال، فتقاعد القوم بعد قيامهم حين اذ يجب عليهم ان يقاوموا و يقاتلوا الکافرين. فتضرّع الي الله تعالي و قال رب اني لا املک الا نفسي واخي لا اري منهم مجاهدا مقاتلا الا انا و اخي فما اصنع يارب بهؤلاء الضعفاء الناکلين القاعدين. فکيف يمکنني ان اقوم بهم للقتال، فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين. لاني لا اريهم الا کَلاً عليّ، استثقل بهم و لا انتفع بهم.

فهناک قدّرالله تعالي لهم الوقوف في الفلوات والمفاوز، يکونون فيها تائهون متحيرون، لا بلاد لهم فيها بيوت فيسکنون و يحفظون من الحر و البرد و ما يصيبهم من الحوادث. فحرّم الله تعالي عليهم فتح بلاد فلسطين و اوقفهم في الفلوات و يظل عليهم الغمام، ليس لهم مياه و لا ضياع و لا عقار فيغرسون و يزرعون و يتمتعون بحصادها و ثمراتها و لا لهم بيوت يسکنون فيها. فدهمهم الجوع والعطش، فشکوا نبيهم ما اصابهم فامر الله تبارک و تعالي موسي ان اضرب بعصاک الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا و کانت جريان هذه المياه من الحجر لا من الجبال يظنونها عيون تنبع من الينابيع. لکن الله تعالي اجري لهم المياه من حجر منقطعة من الجبال لعلهم يشربون و يتفکرون في صنع الله تعالي. وکذلک انزل الله تعالي عليهم لرفع جوعهم مائدة من السماء يسمي بالمنّ و السلوي، ينزل عليهم من السماء کنزول المطر، ياخذ کل واحد منهم من الرجال والنساء قوت يومهم و ليلتهم لا يزيد و لا ينقص. فکانوا يتيهون في الارض يمشون علي وجه الارض والصحاري بلا مقصد يقصدونه من البلاد، الي ان تولّد منهم الشباب و مات فيهم هؤلاء الضعفاء الذين اخرجهم موسي ع من ارض مصر کانوا فيها ارقاء.

فقام موسي بهؤلاء الشُبّان الي بني عماليق الساکنين في ارض فلسطين، الاراضي المقدسه. فاجاب الله تعالي دعوة موسي ع حين اذ قال: افرق بيننا و بين القوم الفاسقين.... فاهلک الله تعالي هؤلاء الفاسقين في هذه المدة التي کانوا يتيهون في الفلوات و اخرج من اصلابهم قوما مومنين، قام بهم موسي ع و قاتل الکافرين الظالمين في ارض فلسطين و نصرهم الله تعالي علي اعدائهم. کان موسي يقوم فيهم في حرب الاعداء، يرفع يده البيضاء فيُلقي الله تعالي برفع يده الرعب في قلوب الکفار فينهزمون. فکان موسي ع اذا رفع يده يغلب قومه علي الاعداء يقتلونهم و ياسرونهم، و اذا جمع يده يغلبوا الکفار قومه. فدعي رجلا من قومه يعمد يده رافعا علي يديه فقتلوا الکفار و هزموهم واخرجوهم من بلاد فلسطين و بارک الله تعالي عليهم في هذه الاراضي انجازا لما وعد ابراهيم و يعقوب ان يرثهم واولادهم الاراضي المقدسه المبارکه .

ثم يذکرالله تعالي في آية السبعة و العشرين قصة ابن ادم هابيل و قابيل يقول: واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قرّبا قربانا فتقبل من احدهما و لم يتقبل من الاخر قال لاقتلنّک قال انما يتقبل الله من المتقين. و کان قصتهما انّ حوا امرأة ادم ولدت ولدين ذکرين من بطن واحد سمي احدهما قابيل. فبلغا اشدهما الي ان آن اَوان ازدواجهما. فوعد الله تعالي اليهما امرأتين حورية و جنيّه، و امرهما بان يقرّبا قربانا الي ربهما. فمن قبلت قربانه يتزوج بحوريه و من ردّت قربانه يتزوج بجنيه. و قيل انهما تنازعا في وصاية ابيهما فوعد الله تعالي لهما انّ من قبلت قربانه فله الوصايه، يقوم مقام ابيه و من ردت لا يقوم هذاالمقام. فکان هابيل صاحب اغنام يعيش بها و قابيل صاحب زراعة يزرع و يحصد. و کان علامة قبول الله تعالي قربانهما ان ينزل نار من السماء فيحرق ما تقبل الله تعالي. فاتي هابيل بغنم سمين من احسن اغنامه ليجعلها هدية لله، و اَتي قابيل بزراعاته الضئيله المردودة الجافة التي لا تنفعه. فتقبل الله تعالي قربة هابيل فاحرقها و لم يتقبل من القابيل. فتعيّنت فيهاالوصا ية اوالحورية لهابيل.

وانما فعل الله تعالي ذلک مع علمه بانه اذا تقبل قربان احد و لم يتقبل من الاخر يتهيّج حسد المردودة قربانه فيتنازعان و يقتل احدهما الاخر. لان الله تعالي خلق الانسان ليربيه و يعلمه فتعرج به الي المعارف و المدارج. فيتوقف ذلک علي ان يري المحسن باحسانه و المسيئ باسائته، فيعرفان عند الناس فيسعد من يسعد بحسن عمله و نيته و يشقي من يشقي بسوء نيته و عمله. فيتوقف هذه الامتيازات علي التکليف و الابتلاء. فيعلم الناس انه تعالي لا يحب من عباده الا الايمان و التقوي و العمل الصالح، و انه تعالي يجعل الجنة و الحوراء للمؤمنين و النار للکافرين الفاسقين .

فهاج حسد قابيل علي هابيل بعد ما تقبل الله تعالي قربانه فقال له: لاقتلنک. فاجابه اخوه بانه ما عليّ ذنب فتقتلني الا ان کنتُ من اهل التقوي و ان الله تعالي يتقبل من المتقين .

ثم قال له: لئن بسطت اليّ يدک لتقتلني ما انا بباسط يدي اليک لاقتلک( فاني لا اريد ان اقتلک )اني اخاف الله رب العالمين. و لعل في هذا الزمان لم ينزل من الله تعالي حرمة قتل الانسان و لم ينزل الله اليهم شريعة قبل هذا اليوم لان الله تعالي ينزل الاحکام بعد ظهور الخلاف و الفساد کما نحن کذلک، نامر و ننهي بعد ما رأينا الخلاف. فانما قال ذلک اني لا اقتلک بحکم العقل لان المؤمن المتقي يري بهداية عقله صلاح الاعمال و فسادها. فيري بعقله حرمة قتل الانسان لانه لا يجوز ان يقتل احدا من خلق الله و احياه الا باذن الله تعالي او الدفاع. فقال لاخيه: اني اخاف الله رب العالمين ان اقتلک. ثم قال له ان قتلتني تحمل اثمي و اثمک فتکون من اصحاب النار... لان الظالم يوم القيامه تحمل اثم المظلوم و معاصيه کلها فيعذب باثمه و اثم المظلومين و يبرء المظلوم عما اثم علي نفسه و عما اثم الظالم لان الظالم ان ترک المظلوم و لم يقتله لعله يتوب بعد ذلک عن عصيانه الي الله تعالي .

فيشعر هذه الايات علي ان هابيل ابن ادم انما علم بعقله و وجدانه عدم جواز قتل انسان  
خلقه الله تعالي و احياه و لم يعلم انه يجوز قتل انسان کافر او فاسق باذن الله او في حالة الدفاع. فاذا اراد انسان ان يتجاوز علي غيره، يقتله او يسرق ماله او يهتک عرضه يجوز له ان يدافع عن نفسه و ماله و عرضه فيقتل الذي اراد قتله، او يجوز قتل انسان اذ امرالله تعالي بقتله. لکن هابيل لم يعلم جواز قتل هذين مع انه ان دافع عن نفسه و قتل اخاه المتجاوز کان جائزا له. فقال لاخيه ان بسطت اليّ يدک لتقتلني ما انا بباسط يدي اليک لاقتلک يعني بذلک ان اردت قتلي فتقتلني لست ادفع عن نفسي لاقتلک. فقال اني اخاف الله رب العالمين .

و يمکن ان يقال بان هابيل انما قال ذلک اخبارا عن نفسه بانه لا يريد و لا يحب قتل انسان ابدا. فقال لاخيه ان کنت تريد ان تبسط يديک الي بالسوء و القتل فاني لا احب ان اکون مثلک ابسط اليک يدي بالسوء. و لعل في هذاالوقت لم ينزل من السماء حکم الدفاع و القصاص و کان هابيل يخاف الله ان يريد او يحب قتل اخيه و اَن اراد قتله. فقال له انک ان قتلتني تبوء باثمي و اثمک، تحمل عني جرمي و اثمي يوم القيامه فتکون من اصحاب النار و ذلک جزاء الظالمين. و لعله يريد بقوله: ان تبوء باثمي، ارادة الدفاع. يعني بذلک ان قتلتني بالتجاوز و قتلتک بالدفاع يکون عليک اثمي من القتل بالدفاع و اثمک من القتل بالتجاوز، و ذلک حکم الله تعالي اوحيه الي کل نبي بانه يکون اثم کل قتل علي المتجاوز لا علي المدافع. فلو تجاوز احد علي احد يريد قتله فقتله المدافع قبل ان يقتل يبرء عن حکم القصاص، لان القاتل هو الذي ابتدأ بالة القتاله و دافع هوعن نفسه فقتله. فيکون الاثم کلها علي الذي بدء بالقتل و ان لم يقتل.

فيخبر الله تعالي عما خاطر قابيل في نفسه بقتل اخيه، يقول: فطوّعت له نفسه قتل اخيه... و كلمة( طوّعت )هناک بمعني (حکمت ). يخبر الله تعالي عن النفس بانه جعل قابيل مطيعا لها فامره بقتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين. و لذلک قيل بانّ اعدي عدوک نفسک الذي بين جنبيک. و قال رسول الله ص جهاد النفس جهاد الاکبر. ذلک لان نفس الانسان هو بعينه. فنفسک انت، و لا يکون النفس شيئ غيرک و غيري و غير احد اخري. ان النفس محفوفة بغرائز کثيره و اقتضائات مختلفه، من اهمها الشهوة و الغضب. و لا تخلو نفس من هذين الصفتين القائمتين الحاکمتين علي الانسان. و هل تجد نفسا ًليس لها شهوة و اشتهاء ًبشيئ مطلوب و بلذة مرغوبه و في طريق جلب ما يکون مطلوبا يدافع عما ليس بمطلوب، فيزاحم کلما يمانعه ان ينال ما تطلب شهوته و لا يقدر احد ان يترک دعوة نفسه الا بالاستعانة من الله تعالي. فمن استعاذ بالله من شر نفسه و التجأ اليه يغلب علي هوي نفسه فيسلم له شيطان النفس و من لم يستعن به تعالي تغلب عليه هوي نفسه فيجر به الي النار

و ذلک لان الانسان قبال غيره من الجماد و النبات و الحيوان و ما في الارض و السماء يري نفسه اشرف و اعظم من کل ما يراه فتداعي في نفسه الحاکمية علي کل ما يري لانه اشرف من کل شيئ حقيقةً فيملکهم جميعاً. و يري نفسه بدليل القدرة و المالکية للاشياء اشرف من بني نوعه الذي يملک مثل ما ملک و لا يقدر علي مثل ما قدر عليه. فبهذا القياس و المقابله تستدعي الحاکمية علي ما سواه لانه لا يري شيئاً او شخصا اعظم من نفسه ليجعلها محکوما بحکم من هو اعظم منه. فلذلک تدّعي الربوبية و الحاکمية علي ما سواه و من سواه فتستکبر و تتفرعن و يقول اناربکم الاعلي... فهل تري هناک شيئا او شخصا ترد ادعاء النفس الي نحره و يعرفها کما هي في نفسها؟ هل الجمادات و النباتات او الحيوانات يقدرن ان يعرّفنّ الانسان نفسه فيعرّفنه انه مخلوق ضعيف فقير مثلهم؟ فلا شيئ يرد ادعاء الانسان الي نفسه و يعرّ فه ضعفه و فقره لان کل شيئ مما سوي الانسان دون الانسان و اضعف منه، و لا يقدر الضعيف او الفقير ان يحکم علي من فوقه في العلم و القدرة. فلابد هناک من شيئ او شخص فوق الانسان في العلم و القدرة محيطا عليه يرد ادعاء الانسان و استکباره علي نحره فيعرّفه ضعف نفسه و جهله، و لا يکون هذا الفائق الحاکم القادر المحيط بالانسان الا الله تبارک و تعالي و لا يمکن لاحد ان يجد شيئاً فوقه الا الله تعالي. فالله تبارک و تعالي کمثل المرأت في تعريف نفس الانسان اياها. فانک اذا قمت قبال المرات، تُريک المرأت ما يکون عيبا علي بدنک و وجهک و لباسک، و لو لم تقابل المرات، تظنک انت احسن و اجمل و اطهر من کل احد سواک. فلذلک يجب عليک ان تقابل بوجهک و مقاديم بدنک المرات في کل صباح و مساء لتعرف ماانت عليه في ظواهرک. فکما ان المرات يُريک ما عليک من ظواهرک، ان الله تعالي ايضا كالمرات يعرّ قک نفسک و يُريک ما عليها من حسن و قبح و علم و جهل و غيرها مما في نفسک. فيجب عليک ان تعرّض نفسک علي ربک في کل صباح و مساء لتعرف و تري ما انت عليه من حسن و قبح و شر و خير. و لذلک يعرف المؤمن نفسه و ما هو فيها من خير و شر و لا يعرف الکافر نفسه ابدا. فيتواضع المومن و يستکبر الکافر.

ان المؤمن بتعقله الايمان و بتفکره في صفات الله و عظمته يعرّض نفسه علي ربه في کل صباح و مساء باقامة الصلوة و الذکر و الدعاء و لذلک اوجب الله تعالي الصلوة علي کل مؤمن و مومنه خمس مرة في کل يوم و ليلة ليعرّض الانسان نفسه علي ربه فيعرف بما يحب الله تعالي ما يبغضه و بما يبغض الله تعالي ما يحبه. واذا قام في صلوته و دعائه بين يدي ربه تبارک وتعالي يري بذلک اعماله من قبيح اوحسن فيترک القبيح بما يعرف ان الله تعالي لايحب القبح و الفساد و کذلک يري الحسن من اعماله بما يعرف ان الله تعالي يحب المحسنين. فلا يعرف الحسن والقبح الا بالله تعالي لانه مبدء کل خير و کل عمل حسن. فلا يمکن ان يصلي مصلٍ و هو لا يعلم قبح الظلم و حسن الاحسان. فبعلم الله تعالي يعرف جهله و بقدرة الله تعالي يعرف ضعفه و بعزته تعالي يعرف ذل نفسه و کذلک بکل اسم من اسماء الله الحسني يعرف نفسه و ما هو فيه من عيب ونقص. فيتضائل قبال عظمة الله و جلاله و يتفاقر قبال غنائه تعالي و قدرته. فينقلب بين يدي ربه مومنا صالحا متواضعا خاشعا مطيعا في کل ما يحب الله تعالي و يبغضه. فلا يخرج الانسان عن بأوه و تکبره الا بما يعرف جلال الله تعالي و عظمته. فانک لا تري في القوم الکافرين رجلا صالحا اصلح نفسه و ترک هوي نفسه و ترک الظلم و الطغيان ولا تري في القوم المومنين کذلک فاجرا فاسقا ظالما لنفسه و غيره من عباد الله. فالکفر هو الداء الاکبر لا يداويه شيئ الا الايمان بالله العظيم .

فکان هذان الاخوان ابنا ادم هابيل و قابيل عرف احدهما ربه و عرف بمعرفةالله قبح الظلم و الطغيان، فقال لاخيه: لئن بسطت اليّ يدک لتقتلني ما انا بباسط يدي اليک لاقتلک...

فراي قبح قتل النفس، و اخوه لم يکن ليري قبح قتل النفس و قبح الظلم و الطغيان لانه لم يقابل نفسه مراة وجود الله تعالي و عظمته. فعميت عليه الانباء فقال لاخيه لاقتلنک، فقتله فاصبح من الخاسرين، ثم اصبح من النادمين. فراي خسرانه في حيوته بقتل اخيه لانه فقَدَ اخاً في حياته فاصبح وحيدا غريبا لا يجد احدا يانس به. فهل تجد مالا و ثروة يشغل قلبک فتانس به مکان الانسان؟ فالحيوة مع انسان تانس به بلا مال و ثروة خيرمن حيوة مع المال و الثروة و لا يکون هناک انسان تانس به. فان الحيوة بالانسان فقط. يقول مولانا علي ع: اعجزالناس من عجزعن اکتساب الاخوان ...

ثم يخبر الله تعالي عن القابيل انه ندم بقتل اخيه و لم يخبر عنه توبة عن قتله فمات هذا القاتل کافرا و ان کان نادما خاسرا. و الندامة غير التوبه. رُبّ نادمٍ لم يتب و ربّ تائب لم يندم. انّ التوبة هي العلم بمرض الکفر و العصيان ثم الرجوع الي الله تعالي لعلاج المرض، و النادم لا يعالج مرض قلبه.

ثم يخبر الله تعالي في آية الاحدي و الثلاثين عما حدث للقابيل بعد قتل اخيه. فانه بعد ما قتل اخاه اراد ان يخفي القتل عن ابيه وغيره من اخوانه، فلم يعلم کيف يمکن ان يخفي ظلمه و جنايته. فکان يحمل جسد اخيه من مکان الي مکان لئلا يراه ابوه، و لم يعلم کيف يفعل بنعش اخيه. فبعث الله تعالي غرابا يبحث في الارض ليُريه کيف يواري سوأة اخيه. فراي هناک علي وجه الارض غرابا يحفر الارض بمخالبه و حفر حفيرة القي فيها غرابا ميتا فحثي عليه التراب فواراه و دفنه، و خاطب قابيل نفسه و قال: يا ويلتا أعجزت ان اکون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي... فحفر حفيرة القي فيها جسد اخيه فدفنه فاصبح من النادمين .

فهناک فيما يذکرالله تعالي من احوال القابيل القاتل لطائف نذکرها لينتفع بها عباد الله، و هي ان الله تعالي يذکر تارة يقول: فقتله فاصبح من الخاسرين، و تارة اخري يقول: اصبح من النادمين... يخبر عن الخسارة بعد القتل، و الندامة بعد الدفن. و لم يخبر عن القاتل توبة عن قتل اخيه. فيعلمنا ربنا بانّ الخسارة کلها ليست في هلاک المال فقط بل الخسارة کل الخساره في هلاک الانسان. فان الانسان اذا لم يکن، لم تکن الحياة و اذا کان تکون معه الحياة. فاحسب انک ذو ثروة کثيرة تنتفع بما تشاء و لم يکن معک انسان من اخ او اخت او صديق تانس به. فحينئذ تعيش کالوحوش في الفلوات. فانک بقلة المال تعيش مع انسان تانس به خير او بکثرة المال و لم تکن معک انسان؟ يقول مولانا الامام علي ع: أعجز الناس من عجز عن اکتساب الاخوان... فکل الخسارة ياتي من فناء الانسان. و لذلک يندم القاتل بعد القتل الا ان يکون جبارا عنيدا.

ثم يذکرالله تعالي في اية الاثنين و الثلاثين و ما بعدها من الايات ما نتج هذا القتل في حيات الانسان. فان قابيل القاتل قتل اخاه و لم يقتصّ منه. فشاع القتل في هذا الزمان، غلبت الاقوياء علي الضعفاء فاستعبدوهم و لو شائوا قتلوهم. فيقول الله تعالي: من اجل ذلک کتبنا علي بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فکانما قتل الناس جميعا... ثم يامر الله تعالي الانبياء بالقصاص و قتل المفسدين يقول: انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الارض فسادا ان يقتّلوا او يصلّبوا... فشرع الله تعالي القصاص و قتل المحاربين المفسدين لحفظ الدماء و المال و النواميس. فرات القاتل ان لو قتل احدا قُتل به فامسک عن قتل غيره حفظا لنفسه و حياته. و يقول الله تعالي في اية اخري: و لکم في القصاص حياة يا اولي الالباب ...

و في هذين الايتين لطائف علمي واجتماعي .فلطيفه العلميه هي ان الله تعالي جعل قتل انسان واحد کقتل الناس کلهم واحياء نفس واحد کاحياء الناس کلهم .فجعل للانسان قيما حياتيا علميا، لان الاشياء کلها يقوم بالاموال. فيقوم الاشجار و الاغنام و الارزاق و غيرها بالنقود و الاموال. فکلما کثر الاموال کثرت ثمنها و کلما قلت، قلت ثمنها. فعشرة من الاغنام اکثر ثمنا من خمسه و خمسه منها اکثر ثمنا من واحد و اثنين. فلا يوازي ثمن غنم واحد ثمن اثنين او ثلاث، فضلا ان يوازي ثمن کل الاغنام. لکن الانسان لايقوم بالمال و انما يقوم بالعلم، و الحياة يقوم بتمدن الانسانيه و الحياة الاجتماعي. لان حيوة الارض و حياة کل شيئ بالانسان. فلو کان هناک انسان يعيش علي وجه الارض يحيي معه الارض و ما فيها و لو لم يکن او مات، يموت معه الارض و ما فيها. فقيمة الانسان هي الحياة فقط. فمن قتل انسانا فقد قتل الحياة و من احيا نفسا فقد احيي الحياة. فلايحاسب الانسان بالکميه ان يقال انسان واحد اقل قيمه من اثنين او عشره من الناس اکثر ثمنا من خمسه و اثنين بل يقوم الانسان بالحياة والانسانيه. فانسان واحد يساوي کل الناس لانه يحيي الانسانيه بحياته و علمه. فمن قتل انسانا واحدا فکانه قتل الحياة و الانسانيه و من قتل الحياة و الانسانيه فکانه قتل الناس کلها. ولذلک اوجب الله تعالي القصاص في قتل الانسان و جعل قيمة الماليه في قتل الحيوان. فمن قتل حيوانامن ابل او غنم او بقر يغرم باداء قيمته، و من قتل انسانا يقتص منه .

و لذلک ايضا جعل الله تعالي للمفسدين في الارض القتل او التبعيد و قال: انما جزاء الذين يحاربون الله... لان المفسد في الارض يفسد الحياة و التمدن الانسانيه علي وجه الارض لان الحيوة لاهل الارض لايمکن و لا ياتي الا في دين الله ان يؤمن الناس کلهم بالله العظيم و يکونوا في اطاعته تبارک و تعالي .فاذا کانوا کذلک يفتح الله تعالي عليهم ابواب العلم و الحکمه و برکات المادية و المعنويه و يجعلهم بالهداية و التعليم متعاونين علي البر و التقوي غير متعاونين علي الاثم و العدوان فيصلح بذلک الحياة علي وجه الارض و يقع الناس کلهم في ظل ولاية الله تعالي و ولاية اوليائه و يکونوا کما قال الله تعالي فيهم: و لو انهم امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم برکات من السماء و الارض... فيرفع من ذلک عن الناس الاسقام و الالام و الحروب و التنازع کلها فيکونون في عيش دائم .و اما المفسدون في الارض الکافرون بدين الله تعالي يقعون في تنازع البقاء قبل تعاونها، يهمّ کل واحد منهم ان يقتل غيره او يسلب عنه ماله لبقاء نفسه و يسمون عملهم هذا تنازع البقاء يقولون يجب علي کل قوي ان يضعّف غيره لتقوية نفسه و تنازعه لبقاء حياته، کما يحکي الله تعالي عنهم في کتابه يقول: و اذا تولي سعي في الارض ليفسد فيها و يهلک الحرث و النسل و الله لايحب الفساد....فالمفسد في الارض ضد الحياة و قاتلها يجب ان يقتل حفظا للحياة علي وجه الارض .

ثم يامر الله تبارک و تعالي في اية الخمسة و الثلاثين المؤمنين ،يقول ياايهاالذين امنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيله و جاهدوا في سبيله لعلکم تفلحون... يامر اهل الايمان بثلاثة امور و ياتي بما تنتج هذه الاوامر. يامرهم بالتقوي و ابتغاء الوسيله و الجهاد.

فاما التقوي فهي حفظ النفس عن المحرمات و المکروهات و حفظها ان تتحرک علي هواها او هوي غيرها من الناس. فان العالم کمثل بناء رفيع معمور و مؤسسة عظيمة جدا و الانسان في هذا البناء العظيم و النظام الجميل کمثل المسافر يدخل هذا البناء. فما علي غريب او مسافر يدخل بناءً رفيعا و مؤسسة عظيمة جدا الا ان يقف بنفسه عند الباب انتظارا من صاحبها ان يؤذن له بالدخول و الانتفاع بما في هذه المؤسسه. فالعالم بمثل هذا البناء رفيع جميل منظم جدا، فيها الف الاف مما ينتفع او يتضرر به الانسان و المسافر الغريب الوارد في هذا البناء هو الانسان. ينظر الي سمائها و شمسها و قمرها و نجومها و عظائم ما فيها. ثم ينظر الي الارض و ما فيها من الجبال و الاودية و الصحاري و البراري و البحار و ما فيها من العجائب و ما فيها من الاشجار و الازهار و الانهار و غير ذلک مما لايحصي. ثم يري فيها نظاما عجيبا جدا من طلوعها و غروبها و بروجها و شهورها و ايامها و اسابيعها و فصولها، لايزيد علي شيئ و لاينقص منها شيئ. أوَ ما يدرک الانسان ان لهذا البناء العظيم صاحبا و مالکا اعظم منها ان يقف بنفسه عند الباب حتي يؤذن له بالدخول و ينتفع بما فيها من النعم؟ فهذا الوقوف بالنفس حتي الاذن هي التقوي.

و اما الامر الثاني في هذه الايه ابتغاء الوسيله. يامر الله تعالي عباده في هذه الايه وايات اخري بقبول الواسطه و اتخاذ الوسيله بينهم و بين ربهم ،يقول :فاسئلوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلمون...

و يقول: ان کنتم تحبون الله فاتبعوني يحببکم الله... و يقول: من اطاع الرسول فقد اطاع الله... و غير ذلک من الايات. و دليل ذلک ان الله تعالي مفيض مبدء الفيوضات و الانسان فقير اليه تعالي في کسب الفيض، لابد للفقير ان يرجع الي الغني، يکتسب منه الغناء. يقول مولانا علي ع في مناجاته: مولاي مولاي انت الغني و انا الفقير فهل يرحم الفقير الا الغني.. فاذا کان و لابد لنا من الرجوع الي ربنا فاما يمکننا ان نري ربنا فنسجده و نسئل منه ما نشاء و اما يرينا ربنا نفسه فيفيض علينا ما يرفع به الفقر عنا و کلاهما غير ممکن. لايجوز لنا ان نري ربنا لضعف عقلنا و ايماننا و نقائص وجودنا و لايجوز لربنا ايضا ان يرينا نفسه و هو في عظمته و جلاله.

فانه قال لموسي کليمه ع لما سئله الرؤيه: لن تريني يا موسي. فاذا الفاصلة بيننا و بين ربنا عظيمة بعيدة جدا ينشأ من جهلنا و ضعف ايماننا، و لو بقينا علي هذا الحال لهلکنا، فلابد لکسب الفيض من واسطة بيننا و بين ربنا و هم الانبياء و الاولياء يطلبون الفيض من الله تعالي و العلم و الحکمه فيفيضون علينا و يعلّموننا و هم الوسيلة بيننا و بين ربنا. يقول الله تعالي :و ابتغوا اليه الوسيله...

ثم انه لابد من تعريف الوسائل بيننا و بين ربنا لئلا نتوسل بمن لم يجعل الله تعالي واسطة بيننا و بينه تعالي. فان الوسيله بين الله و خلقه هو الذي يعرف ربه و کمل في معرفته و اکتسب الفيض من الله تعالي علي قدر انه مستفيض منه تعالي و لا يعرف هذا العارف بالله الکامل في دين الله الا الذي عرّفه الله نفسه و علّمه عِلمه و افاض عليه بفيضه و قرّبه اليه و هو الله تبارک وتعالي. فيجب عليه تعالي ان يعرّف هذا العبد العارف الکامل علي رؤؤس الناس ثم يامر الناس باطاعته. فلو ترک الله الوسائط مجهولا لم يتم حجة الله علي الخلق و تُرک الخلائق هالکين حائرين .

و لذلک عرّف الله تعالي الوسائط بينه و بين خلقه بحجج واضحه و دلائل باهره من طريق العلم و البيان و المعجزات. فيامر الله تعالي الذي عّرفه نفسه و علّمه دينه ان يقوم في الناس يدعوهم الي طاعة الله يامرهم بالمعروف و ينهيهم عن المنکر و يخالف اهل الکفر و العصيان بعد ان ادعي انه رسول من الله تعالي الي خلقه. فان قبله الناس بحجة العلم و العمل و بما يرون صدقه في المواطن فاجابوا دعوته، نجوا به من الکفر و العصيان و سلکوا مسالک الجنة و الرضوان و يتم الله تعالي علي هؤلاء الحجة ببيان النبي و صدقه في المواطن لما لايرون منه عملا و علما بسفاهة و باطل. و ان لم يعرفوه بعمله و بيانه و طلبوا منه دلائل اوضح من ذلک يجعل الله تعالي بيده سلطانه فياتي بالمعجزات و دعاء مستجاب. فلايبقي لاحد شک و لا ريب بعد ما راوا المعجزات بانه رسول من الله تعالي. فان اطاعوه بعد اليقين بحقانيته فهو، و الا يهلکهم الله تعالي بعد اتمام الحجة عليهم. و لذلک يقول: ما کان الله ليهلک اهل القري بظلم و اهلها غافلون...

ثم يذکر الله تعالي حال الکافرين و ما هم فيه في الدار الاخره حين اذ خرجوا من قبورهم و واجهوا نتائج اعمالهم من العذاب. يحکي عنهم عما يقولون هناک بقوله: ان الذين کفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا... فيقول يحب الکافر ان لو کان بيده من المال والثروه اضعاف مافي الارض يفدي بها يطلب نجاته من العذاب يوم القيامه و لکن الله تعالي لايقبل منهم الفداء ابدا و لو کان فدائا عظيما. و ذلک لان الله تبارک و تعالي يطلب الانسان و يحبه بصلاح نفسه و الايمان بربه و العلم و العمل الصالح. فمن امن بالله و الاخره و عمل الصالحات اصلح نفسه لله و جعل نفسه بغية لله تعالي و مطلوبا محبوبا له و لاوليائه فهو حق من اولياء الله تعالي. فلايمکن لله تعالي ان يدع الحق فلا يقبله و من کفر بالله العظيم و کفر بالاخره و لم يعمل عملا لاخرته و عمل السيئات حتي احاطت به خطيئته فهو في وجوده رجس نجس باطل من اولياء الشيطان. فلايمکن لله و لاوليائه ان يحبوه و يقبلوه و جالسوا معه. فلا يصلح الفاسد بفداء المال کما لايفسد الصالح بمنع المال و عدم الفداء.

فالکافر اذا افدي بارقام ملايين مثل ما يقول الله تعالي في هذه الايه لايخرج بهذا الفداء عن کفره و رجاسته. فکيف يمکن لله ان يتقبله. فان الله تعالي انما يريد صلاح انفسنا و لايريد اموالنا.

ولذلک يقول الله تعالي في الايه السبعة والثلاثين: يريدون ان يخرجوا من النار و ما هم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم.. فيخبر تعالي بانهم هم الذين لا يخرجون من النار لا انهم يريدون الخروج و الله تعالي يمنعهم من الخروج. فيدلنا ربنا في هذه الايه علي علة خلود الکفار في النار بانهم لايخرجون عن کفرهم فلا يخرجون من نار جحيمهم. فان کانت الکفار يريدون ان يخرجوا من العذاب و يطلبون الجنه کمثل المومنين ،يجب عليهم ان يعلموا بان باب الخروج من النار هو الخروج من الکفر و الايمان بالله العظيم. و هذه الابواب يفتح لهم في قلوبهم. و ما اکثر ما دعاهم الله تعالي في الدنيا بالخروج عن الکفر و الدخول في الايمان فکذبوا دعوة الله تعالي و استهزئوا بدعوة الانبياء و مواعظهم و اغلقوا علي قلوبهم ابواب الجنه بسد ابواب الايمان. فجعلوا قلوبهم في ظلمة الکفر و الجهل جدا بحيث انهم ظنوا الحق باطلا و الباطل حقا. فکانوا کما يقول الله في شانهم: قل هل ننبئکم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا...

و لو لم يکونوا في ظلمة الکفر ما کانوا ليفتدوا بالمال في رفع العذاب عنهم بل هم امنوا بالله العظيم و رجعوا عن غيهم و ضلالتهم. فان الله تعالي لايمنع احدا ان يرجع الي ربه في الدنيا و الاخره. فالکفار هم الذين لايخرجون عن کفرهم فلايخرجون عن نار جحيمهم لا لان الله تعالي يمنعهم الخروج عن غيهم و ضلالتهم ليخلدوهم في نار جحيمهم.

فما احسن ما اتانا في دعاء ايام رمضان، فتحوا لنا بکل يوم من ايام رمضان بابا من الدعاء و من جملتها يقول الصائم في دعواته: اللهم افتح علينا ابواب الجنان و اغلق عنا ابواب النيران... فيدلنا هذه الجملات علي ان ابواب الجنه يفتح علينا بامر الله تعالي بعد ما اغلقنا عن انفسنا و فتحنا عليها ابواب النيران. فباب النار باب يفتح علينا عن انفسنا بهوي انفسنا. مثلا الکفر بالله العظيم باب من الجحيم. فانظر مِن اين يفتح عليک هذا الباب؟ يفتح عليک عن نفسک بهوي نفسک و جهلک. و الکبر ايضا باب من ابواب النار يفتح عليک من نفسک بهويه. کذلک کل معصية من المعاصي باب من ابواب النار يفتح عليک من نفسک. فاغلق علي نفسک هذه الابواب کما تقول في دعائک: اللهم اغلق عنا ابواب النيران... فاذا امنت بالله العظيم اغلق الله تعالي بايمانک باب الکفر و اذا سجدت لربک و صليت اغلق الله تعالي عنک باب الکبر،و اذا دعوت لاخيک و احسنت اليه اغلق الله تعالي عنک باب الحسد.کذلک کل صفة من صفات الجهل في نفسک باب من ابواب النار. فاستعن بربک ان يغلق عنک هذه الابواب و اعلم بان قبال کل باب من ابواب المعاصي اغلقت عن نفسک ،يفتح عليک قهرا باب من ابواب الجنه. فان کل ضد و نقيض يعالج بما يضاده و يناقضه. فالايمان ضد الکفر، يعالج به مرض الکفر. و التواضع ضد الکبر، يعالج به الکبر في نفسک. و کذلک مامن خير الا و قباله شر، لايعالج الشر الا بالخير. فيدلنا ربنا بهذه الايه ان اصحاب النار لم يخلدوا فيها باخلاد الله تعالي مثل انهم يريدون ان يخرجوا و الله تعالي يمنعهم عن الخروج و يغلق عليهم ابواب الجحيم. فليست جهنم کسجن السلطان اذا بني داراً و رفع جدرانه بعد ما احکمها و اغلق علي اهل السجن ابوابها فمنعهم عن الخروج، و کلما اراد محبوس ان يخرج من السجن يضربه بوّابها و يغلق عليه ابوابها. فليست جهنم کذلک ان يبني الله تعالي جحيما محصورا بالجدران و مُغلقاً بالابواب و مامورا عليها بوّاب کثيرة يمنعوا اهل جهنم عن الخروج منها، بل الکفار في انفسهم جحيم لانفسهم، رجع اليهم کل ظلم ظلموا عباد الله و کل فساد عملوها بعصيانهم.

فصاروا جحيما في انفسهم يريدون ان يخرجوا من النار و ما هم بخارجين منها. فان قدروا ان يخرجوا من الکفر و الحسد و البخل و غيرها من صفات الجهل،يخرجون عن النار بخروجهم عن الکفر. و لايخرجون الا بالايمان بالله تعالي و الاستعانه به و هم نسوا الله تعالي في الحيوه الدنيا فترکوا دين الله تعالي وراء ظهورهم و اصرّوا علي الکفر و العصيان حتي اذا احاطت بهم خطيئتهم. فهم في نفوسهم کفر محض و جهل مرکب خالص. فکيف يقدرون ان يخرجوا من انفسهم؟ فلهم عذاب مقيم.

ثم يذکرالله تعالي في الاية الثمانية و الثلاثين حکم السارق و حد السرقه. فيقول: و السارق و السارقة فاقطعوا ايديهما جزائاً بما کسبا نکالا من الله و الله عزيز حکيم... ثم يقول :فمن تاب من بعد ظلمه و اصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم .

و السارق هو الذي يسلب اموال الناس باختطاف باي طريق ممکن، اما يدخل الدور من غير بابها فيکسر الابواب او يفتحها علي حين غفلة اهلها فيسرق امتعتهم و اموالهم. و جعل الله تعالي في دين الاسلام حدا و تعزيرا للسارق و السارقه. لان السرقة امر غير طبيعي و غير انساني و هو ظلم فوق کل ظلم في حد ظهورها. لان الظالم يهيئ المظلوم ليظلم عليه، لايسلب عنه ماله فُجئةً طارقا في الليل. فيصيب المظلوم ظلم الظالم بحال انه وطّن نفسه لاصابة الظلم ولکن السارق ياتي علي اهل البيت فجأة علي حين غفلة منه. فما يصيب المسروق ماله من السارق اشد مما يصيب المظلوم ظلم الظالم. و لذلک لم يمهل الله تعالي السارق و السارقة، بل عجّل لهم بعذاب السرقة و نکالها من الله تعالي في الدنيا.

ثم يخبر الله تعالي بانه يتوب علي السارق و السارقه اذا تابوا الي الله عن سرقتهم و اصلحوا امرهم. و التوبة من الله تعالي هناک بمعني التوجه و اللطف الي العبد، و التوبة من العبد الي الله بمعني الندامة علي عمل الشر و اللجأ الي الله تعالي ليصلح امره. و التوبة غير الندامه و الندامة جزء واحد من اجزاء معاني التوبه. فلايظهر التوبة للانسان الا عن ثلاثة وجوه. الوجه الاول ان يدرک فساد عمله و يعلم بانه ظلم نفسه بهذا العمل قبل ان يظلم غيره. و السارق اکثر خيانة لنفسه من غيره. و الوجه الثاني يدرک مرض نفسه و يعلم انه مريض في قلبه و ادراکاته مبتلي بجهله و سفاهته. و الوجه الثالث ان يدرک عظمة الله تعالي في هذه المعصيه و يعلم انه لايعالج هذه المرض احد غيره. فيلجأ الي الله تعالي من شرعمله و من مرض نفسه، و يعد الله تعالي لهذه التائب ان يتوب عليه، يعالج مرض نفسه و يغفره و يکفر عنه سيئاته و يصلح ما بينه و بين الناس. فان تاب السارق قبل ان تاخذه السلطان و رد اموال المسروقة الي صاحبه يرفع عنه حد السرقه، فلايرجع امره الي السلطان و لايحد و لايعزّر. و ان تاب بعد ما اُخذ و رفع امره الي السلطان يجري عليه الحد و يفيده التوبة في الاخره و يتوب الله عليه و يغفره و لذلک يعده في هذه الايه و يقول فمن تاب من بعد ظلمه و اصلح فان الله غفور رحيم. و الاصلاح بعد التوبه، ان يرد المال الي صاحبه او استرضاه بعد اعتراف بالسرقه و العجزعن رد الاموال .

ثم يخبر الله تعالي لاثبات قدرته بانه يتوب علي السارق و يصلح امره في الدنيا و الاخره بقوله: الم تعلم ان الله له ملک السموات و الارض... فمن کان بيده امر السماء و الارض يقدر ان يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء. فلايمکن لاحد ان يخرج عن حيطة قدرته و سلطنته و انما يقول الله تعالي ذلک بعد اية السرقه و السارق ليأمن السارق عما يخاف من نکال کسبه و سرقته لانه اذا علم بان الامور کلها بيد الله تعالي في الدنيا و الاخره و انه تعالي ذو رحمة واسعه و قدرة کامله و سلطان محيط عظيم، يأمن و يطمئن بالرجوع الي الله تعالي و التوبة عما فعل. فيحتج الله تعالي بهذه الاية علي کل سارق و مجرم ليتوب الي ربه .

ثم يخاطب الله تعالي في الاية الاحدي و الاربعين، يعزّي و يسلي رسوله عما يدهمه و يصيبه من الحوادث و المصائب من الکفرة الفجره يقول: يا ايها الرسول لايحزنک الذين يسارعون في الکفر... فيجمع بين المنافقين و اليهود بانهم يتفقان علي المسارعة في الکفر و نقض ما يقول رسول الله ص في دعوته الي الله تعالي و اتباع دينه و سنته. فان المنافقين و اليهود کانوا يسمعون ما تقوّله الکفره الفجره و لم يسمعوا ما يقول رسول الله ص و کانوا يغيرون قول رسول الله ص عن مواضعه و يفسرونه علي خلاف ما يريد رسول الله ص. فيقول هو تعالي لاتحزن بما يفعل هؤلاء الکفره لان الله تعالي يريد ان يضلهم بهذه الاعمال فيعذبهم بها في الدنيا و الاخره فيترکهم و يمهلهم ان يفعلوا ما يريدون من الکفر و الضلال ثم يؤمرون بها الي نار جحيمهم .

و ذلک لان الله تعالي يمهل الانسان في الحيوة ان يفعل ما يشاء بارادته و حريته کما يقول: ليهلک من هلک عن بينه و يحيي من حي عن بينه.... فهو تعالي يحتج علي کل بشر بالبينات و المعجزات بيد الانبياء، يعرض علي الانسان دينه و يريهم طريق جنته ليختار ما يختار بارادته کما يقول: اما شاکرا و اما کفورا... فالمؤمن يشکر نعمة الدين و الولايه، يسلک طريقا ًالي الجنه، و الکافر يکفر بالله تعالي و دينه و نعمته و يسلک طريقا الي النار.

فيريد الله تعالي للکافرين ان يفتتنوا بالحياة الدنيا لانه لايمکن لهم غير ذلک. ان الله تعالي لايجبر احدا علي قبول الحق و الطاعه کما لايجبر علي قبول الباطل و المعصيه. فکيف يمکن لله تعالي ان يطهر قلوبهم و هم يسلکون سبل الباطل، يعصون ربهم. فيخبر الله تعالي عن امتناع تطهير قلوبهم بقوله: اولئک الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم...

ثم يصفهم في الاية الاثنين و الاربعين بما هم عليه من الصفات و الاعمال يقول: سمّاعون للکذب اکّالون للسحت... و کما ان المؤمن المتقي يکون متنفرا عن الکذب و اکل الحرام مشتاقا الي الصداقه و الامانه، کذلک يکون الکافر متنفرا عن الصدق مشتاقا الي الکذب و الخيانه و اکل المال الحرام .

فيحکي في هذه الايات عن قوم منافقين بين المسلمين کانوا يلجئون الي اليهود و يطلبون منهم ان يحکموا بينهم بحکم الله و لايرجعون الي رسول الله ليقضي بينهم. لانهم يعلمون بان اليهود يحکمون بين الناس بالظلم و العدوان. فاذا تحاکم اليهم ضعيف و قوي يحکمون علي الضعيف للقوي و ان کان القوي ظالما و الضعيف مظلوما. و کانوا يحکمون بين الاشراف و الاقوياء خلاف ما کانوا يحکمون بين الضعفاء و الفقراء. فکانت المنافقون يتحاکمون الي اليهود و هم مسلمون علي ما يظنون .فيامر الله تعالي رسوله في هذه الايه ان يحکم بين الناس بالقسط و العدل و ان کان يخالف حکمه حکم قضات اليهود و النصاري. فيخبر الله تعالي في هذه الايات بان اليهود لو کانوا مؤمنين لَيحکموا بين الناس بحکم التورات. فاذا لم يحکموا بحکم التورات بما حکم الله تعالي في الامور، لايحکّمونک اَن تحکم بينهم بحکم الله. فلذلک يقول متعجبا من هؤلاء اليهود ان يرضوا بحکم الله فيهم: و کيف يحکّمونک و عندهم التورات فيها حکم الله ثم يتولون من بعد ذلک.... يعني بذلک انهم لو کانوا مؤمنين بالله و اليوم الاخر ليحکموا بحکم التورات ولکنهم يکفرون بما جاء به موسي نبيهم و بما اورثهم کتابه فکفروا بالله و بالانبياء کلهم، کذلک يکفرون بخاتم النبيين ص.

ثم يحکي عن التورات بقوله: انا انزلنا التورات فيها هدي و نور يحکم بها النبيون...

فيخبر بان کل نبي من الانبياء و کل عالم متعلم من التورات کان يحکم بحکم التورات فيعدل في الناس و يراعي حقوق الضعفاء ولکن هؤلاء الکفره من اليهود و الکفره من المسلمين لايؤمنون بکتاب ربهم، کانت الکتاب من مثل التورات او القران. فيامر رسوله و ساير المؤمنين ان لايخشوا الناس فيتبعوا اهوائهم فيکونوا مثلهم کافرين ظالمين و يدخلوا معهم نار جهنم و يامرهم ان يخشوا ربهم. و الخشيه هناک بمعني تعظيم الله تعالي و تحقير الکفر و الکافرين. فمن صغّر الله تعالي و عظّم الکفر، يتّبع اهواء الکافرين، فيکون مثلهم. يظلم و يکفر. و من صغّر الکفر و الکفار و عظّم ربه تعالي، يحکم بما يامر الله تعالي فيکون عادلا. فيقول الله تعالي في اخر الايه، يحکي عن قوم لا يحکمون بما انزل الله: و من لم يحکم بما انزل الله فاولئک هم الکافرون.

ثم يحکي عن التورات، ما اُنزل فيها من الاحکام التي يظهر به القصاص و يحقن بها الدماء و النواميس، يقول کتبنا في التورات بان نفسا اذا قُتل بغير حق يقتل به القاتل، کانت النفس المقتوله رجلا او امراة. و اذا اعمي عين بالتجاوز، يُعمي به عين القاتل. کذلک الانف بالانف و الاذن بالاذن. ثم يقول: و في الجروح قصاص... و القصاص في کل قتل او جناية من اهم ما يُحفظ به الدماء. يقول الله تعالي :و لکم في القصاص حيوة يا اولي الالباب... و جعل الله تعالي حيوة البشر في قصاص القاتل و الجارح. فمن قتل نفسا بغير حق يقتل به.

و القتل و الجراحة علي ثلاثة اقسام، يثبت في بعضها القصاص و في بعضها الديه علي القاتل، و في بعضها الدية علي عاقلة القاتل. فقتل او جراحة عمدي، ثم قتل او جراحة شبه عمد و قتل او جراحة خطأ محض. و في القتل او الجراحة اذا کان عمدا يقتل به القاتل او يجرح به الجارح. و قتل العمد ما اراد القاتل قتل نفس او جراحتها باستعمال الة قتاله او ضرب مهلکة جارحه يُکشف من کيفية الضرب او استعمال الة القتاله بان القاتل اراد بعمله قتلَ النفس او جراحتها. فيرفع امره الي الحاکم، يحکم الحاکم بالقصاص او اداء الديه برضاية اولياء المقتول. و اولياء المقتول من يرثهم من الاباء و الاولاد و الاخوة و الاعمام و الاخوال. فمن يرث الميت او المقتول فهو وليه، يطلب القصاص من القاتل او الديه عنه بعد العفو. و انماجعل الله تعالي حکم القصاص بيد الحاکم و اجراء الحکم بيد الاولياء. لان اولياء المقتول هم الذين تفجعوا و اُصيبوا بقتل مقتولهم. فاراد الله تعالي بذلک شفاء قلوبهم. ثم جعل الله تعالي هؤلاء الاولياء في فسحة و سعة من القصاص. فان ارادوا اقتصوا من القاتل و ان ارادوا يعفوا عنه و اخذوا دية المقتول.

ثم يشوّق الله تعالي اولياء المقتول بالتصدق و العفو، يقول: فمن تصدق فهو کفارة له.... فان عفواعن القاتل ياخذون ديته و لايعفي عن الديه بل لابد لهم ان ياخذوا الديه ليجازي به القاتل ثم يردون اليه ان شائوا.

و الدية واحد من هذه السته. اما الف دينار ذهب مسکوکة رايجة في بلاد المسلمين و اما مأة من الابل و اما مأتان من الغنم او مأتا حلة من اللباس او عشرة الاف درهم من الفضه، يطلب مَن عليه الديه مِن هذه السته باَسهل ما يمکنه و لا يجبر علي اداء ما يختاره اولياء المقتول .

و اما القتل الذي يکون فيه الديه علي القاتل بلا قصاص هو قتل يشبه العمد و ليس بعمد، کاَن ضربه بيده او برجله او بحجر او مدر و امثالها مما لايقتل به عادة. فقُتل اتفاقا و يعرف من الاوضاع و الضربات ان الضارب لم يرد قتل المضروب و لم يضربه بالة قتاله، فقُتل بضربه اتفاقا. فيرفع امره الي الحاکم يحکم القاضي باداء الديه دون القصاص و يوخذ الديه من القاتل فقط مجازاتا له بما ضرب مومنا من المومنين. و اما القتل الذي يقع خطاء يکون الدية فيه علي العاقلة. فهو مثل ان رمي بحجر الي حيوان او علي شيئ اخري او بلا قصد، فضُرب به انسان فقُتل به. او کان لاعبا برجل فضربه الي الارض فقتل. او مثل ما يقتل بالسياره او الطياره و غير ذلک. و مثل هذا القتل خطاء محض، اذ لم يرد به القاتل قتلا و لا ضرباً و انما قتل تصادفا و اتفاقا. فيؤخذ ديته من عاقلة القاتل و هم اعمامه او بنوا اعمامه. و انما جعل الله تعالي الدية علي العاقله ليتحافظوا الاقوام و الاعمام بعضهم بعضا و يتعاهدوا حفظ النفوس و الاموال بتعليمهم و تربيتهم فلايکونوا غير متعهدين و لامتعاهدين بعضهم لبعض.

ثم يخبر الله تعالي في اية الستة و الاربعين الي اية الخمسين بانه تعالي ايّد دين موسي ع و کتابه و شريعته بمن بعث من الانبياء بعده و انزل عليهم کتبه يقول: و قفينا علي اثارهم بعيسي ابن مريم... ثم يقول: اتيناه الانجيل مصدقا للتورات... و يخبر ايضا في اية السبعة و الاربعين بانه انزل القران بالحق يصدق فيها التورات و الانجيل. فيخبر في هذه الايات بان دين الله تعالي واحد من لدن ادم الي انقضاء العالم و ان الانبياء و کتبهم و ان تکثروا و تعددوا الي ان بلغوا ماة و اربعة و عشرين الفاً ، لکل منهم کتاب فما تعلمه بالتعليم او بوحي من الله تعالي لم يتعدد و لم يختلف بکثرتهم و تعددهم دين الله تعالي لانهم جاؤوا من قبل اله واحد بدين واحد و کتاب واحده. فيقول الانجيل ما قالت التورات و يؤيد القران ما نزل بالتورات و الانجيل. فالاختلاف لم يکن في دين الله تعالي و لم يختلف الانبياء في دينهم و شريعتهم و انما وقع الاختلاف في دين الله برأي الکافرين و بغيهم و الله تعالي يحکم بينهم يوم القيامه فيما کانوا فيه يختلفون.

و هناک في اية الثمانيه و الاربعين لطيفة جليلة نافعه جدا.نذکرها لکثرة فوائدها و هي ما يذکر الله تعالي في هذه الايه بانه جعل لکل من الامم شرعة و منهاجا. ثم يخبر بانه لو شاء لقدر ان يجعل الناس امة واحدة. فيدلنا بهذه الجملات بان الاختلاف و التفرقة بين الناس و الاختلاف في الدين بين الناس انما وقع بمشية الله تعالي و الله تعالي هو الذي جعل لکل من الامم شرعة و منهاجا و هو الذي لم يجعل الناس امة واحدة مع انه کان قادرا علي توحيد الامم.

فنقول کيف جعل الله تعالي الناس مختلفين متفرقين مع ان الوحدة و التوحيد مطلوب له تعالي و امر الناس بالاتحاد و التوحيد حتي انه تعالي جعل التوحيد اصلا من اصول الاديان و الاسلام. و الجواب من هذه السؤال لحل هذه الاشکال انه تعالي جعل لکل نوع من افراد البشر شرعة حق و منهاج صدق و لم يجعل الله تعالي لطائفه من الناس شريعة باطل ابدا. فالشرائع بمنزلة الانهار صغيرة و کبيره، بعضها اکبر من بعض و کل واحد من هذه الانهار ينبع من بحر واحد، ينشأ الانهار من البحار الي الجبال و الاوديه ثم يرجع اليه. و الانهار و ان کانت مختلفات في المجاري بعضها ماء عذب فرات و بعضها ملح اجاج لکنها کلها ينشأ من بحر واحد و يرجع الي ما نشأ منها. و الامم کلهم في دينهم و اماناتهم و اعمالهم الصالحه و هداتهم کمثل هذه الانهار. ما من حق فيما بينهم الا و نشأ بامر الله تعالي بنبي بعثه الله تعالي فيهم. يقول الله تعالي: و ان من امة الا خلا فيها نذير...

فالانبياء بمنزلة الغمام و السحاب نشؤوا من بحر علم الله تعالي و جَرَوا في قلوب الناس. فلو لازم کل امة ما فيه من الحق و العمل الصالح يسلک بهم الاعمال الي نبيهم و نبيُهم الي الله تعالي. فيحصل الوحدة المطلوبة لله تعالي. فانک لو تعمقت النظر في سير التاريخ لم تر امة سالکة في حياته طريقة باطل محض و تري في کل امة حقاً و باطلا، مخلوطا بعضها ببعض کما يقول الله تعالي: خلطوا عملا صالحا و اخر سيئا...

فيخبر الله تعالي في هذه الايه بانه هو الذي جعل لکل امة من الامم شريعة حق و منهاج صدق و هو الذي امرهم في وجدانهم و عقولهم او بنبيهم و هداتهم ان يلازموا في اعمالهم و اخلاقهم ما ثبت في دينهم بانها حق. فما من باطل فيهم الا ابتدعوه بهوي انفسهم. فيجب عليهم ان يترکوا ما ابتدعوه و يلازموا ما عرفوه حقا بعقولهم او بنبيهم. بقي هناک سؤال اخري يفسر بجواب هذه السؤال قوله تعالي: و لو شاء لجعلکم امة واحده... فسؤال هي لِمَ لم يجعل الله تعالي البشرية امة واحده مع انه تعالي کان قادرا علي توحيد الامم و رفع الاختلاف من بينهم و الوحدة مطلوبة له تعالي و للناس اجمعين؟

فنقول في الجواب لو ان الله تعالي اراد ان يجعل الناس امة واحده لکان يجب عليه تعالي ان يجعل الناس اکراها و اجبارا في حکومة واحده، يسلط وليه بالعلم و القدرة علي الناس اجمعين بحيث لم يقدر علي الکفر من اراد ان يکون کافرا او علي الاثم من اراد ان يکون آثما. يسلب عن الناس ان يعملوا مايشاؤن ان يعملون او يطلبوا ما يشائون ان يطلبون. فهذا بمعني سلب الاختيار و الاراده کلا و طُرا عن الناس اجمعين، و بسلب الاختيار يسد باب الحرکه و التکامل، مع ان الله تعالي بحکمته و قدرته بدأ الناس من جهل و نقص، يسوقهم الي علم و کمال بارادتهم و اختيارهم. فقدّر الله تعالي للناس ان يسيروا الي ما يعلمون و يطلبون. فان کان ما يطلبون خيرا لهم ساروا اليه بهداية الله فهو کمال المطلوب و ان کان ما يطلبون و يسيرون اليه شرا لهم و نهاهم الله تعالي عن ذلک يجب في علم الله تعالي ان يصلوهم الي الشر فيعلموا انه کان شرا لهم ثم يرجعوا عن الشر الي الخير بعد ما فهموه شرا.

فان کان الله تعالي منعهم بقدرته ان يسيروا الي ما يطلبونه و سلب عنهم الارادة و الاختيار يظنون في انفسهم ان الله تعالي منعهم عن الخير و السعاده لانهم لايعلمون الشر شرا الا بعد ان وصلوا الي الشر و ذاقوا طعمه. فيجب في تقدير الله تعالي ان يعلموا الناس الخير خيرا و الشر شرا، فيطلبوا الخير بعلمهم و يترکوا الشر کذلک بعلمهم، و هذا العلم لايحصل الا ان يکونوا مختارين في سيرهم الي الخير و الشر غير مکرهين و لا مجبورين و هذه الاختيار لايحصل للناس الا ان يدعهم الله في ارادة الخير و الشر و اختيارها.

ثم اعلم ان العلم لايحصل للانسان الا من طريق التعليم او التجربه. فالمومنون يطيعون ربهم و امامهم و يتعلمون منهم فيعلمون الخير و الشر و الحق و الباطل قبل الابتلاء بهما. فيعلمون حقيقة الايمان بالاطاعه و حقيقة التقوي کذلک بالاطاعه و يعلمون کل حق و باطل و کل خير و شر کذلک بالاطاعه فينقلبون عالما حکيما باطاعة ربهم و امامهم. فلا يبتليهم الله تعالي بالخير و الشر. و الطريق الثاني من طرق التعليم الابتلاء. فان بعض الناس او اکثرهم يتبعون هوي انفسهم و يخرجون عن اطاعة الله تعالي و رسوله و لا يتعلمون منهم الخير و لا الشر فينقلبون سفهاء جاهلين، يعملون الشر و يسرعون اليها کما يعملون الخير و يسرعون اليه. لا يعرفون الحق حقا و لا الباطل باطلا. فيجب علي الله تعالي ان يعلمهم من طريق الابتلاء و التجربه. فيدعهم في طريق الشر ليذوقوا وبالها، يعصون ربهم و يذوقون من المعاصي تعباً و عذاباً فيتنبهون، يترکون اعمال الشر بما نالوا فيها من العذاب و يرجعون الي الخير بما انتفعوا فيها من الثواب. فمن لم يتعلم الخير و الشر من هذين الطريقين فهو شقي کافر حقيقتا لايرجع عن غيه و ضلالته الا ان يدخل النار الجحيم.

و هناک لطيفة اخري في هذه الايه ان يرجع الله تعالي به الناس من طريق التفرقه و الاختلاف الي طريق الوحدة و الاتحاد. فانه تعالي اظهر الوحدة بما قال: و لو شاء الله لجعلکم امة واحده... فاَعلم الناس بهذه الجمله ان الوحده مطلوب له تعالي و للناس و هو تعالي قادر علي ايجاد الوحده ولکن لم يوحّدهم. فيظهر من ذلک سؤال للعباد. يقولون لِمَ لم يجعل الله تعالي الناس امة واحده و هو قادر عليها؟ فيجيبهم الله تعالي بقوله: فاستبقوا الخيرات الي الله مرجعکم جميعا... فيامرهم بالسباق والمسابفه الي الخيرات .فکما ان اهل المسابقه يرجعون الي زمان و مکان و هدف واحد فيحصل بينهم الاتحاد، کذلک لو تسابق الناس الي الخيرات و الاعمال الصالحه لجمعهم الله تعالي الي زمان و مکان واحد في علم و حکمه واحده في ظل حکومه الله تعالي فيحصل بينهم الاتحاد في مدينه الفاضله. فلذلک يامرهم ان يتسابقوا الي الخيرات، يقول: فاستبقوا الخيرات الي الله مرجعکم جميعا...

وذلک ان الوحدة تظهر للناس من طريقين ، احدهما غير مطلوب لله تعالي و لا مرغوب في نظر الناس و الثاني مطلوب عند الله تعالي و عند الناس و مرغوب عندهما. فالوحدة الغير المطلوبه عند الله تعالي و لا المرغوبه عند الناس هي الوحده بحکم اجباري و اکراهي من الله تعالي ان يسلط علي اهل الارض حاکما قويا قادرا مسلطا فيجبرهم علي الايمان بالله و العمل الصالح و التعاون علي البر و التقوي. فهناک کل واحد من الناس يري نفسه في ظل قدرة مسلطة عليه فيتظاهر بالايمان او يومن بالله و هو يکرهه و لا يعرفه. او يجبر علي العمل الصالح و هو لايعرفه و لا يحبه. فکان الدين هناک دين اجباري اکراهي يتدين الناس به و لا يعرفونه و لا يحبونه، و لعل بعضهم يحبون الکفر و الشقاوه او الظلم و العصيان ولکن لايقدرون. فالناس بتلک الکيفيه محبوسون مسجونون في دايره الدين و في ظل حکومه الحاکم مومنهم و کافرهم يجبر علي العمل الصالح. فهناک يحصل وحدة لا يعرفونه الناس و لا يحبونها لقلة معرفتهم.

و الطريق الاخري في حصول الوحده، هي الوحدة العلمي الايمانيه علي مدار معرفة الناس و شدة حبهم بالايمان و التعاون و تنفرهم عن الکفر و العصيان. فکل انسان في ظل هذه الوحده يحب الايمان بالله و اولياء الله و يحب التعاون ان يکون في خدمة الناس بما يري فيها من الخير و البرکه و ابتغاء مرضات الله بمرضات الناس. فلا يکره احد في هذه الوحدة العلميه التربويه علي عمل صالح او غير صالح. فالناس فيها احرار مکرمون و عباد مربوبون، و لا شک في ان هذه الوحده الثانويه هي المطلوبه عند الله تعالي و عند الناس .فاختار الله هذه الوحده و امر الناس ان يومنوا بالله تعالي و يستبقوا الخيرات .

فمن سبق الي الايمان و الي عمل الخير، سابق الي هذه الوحده. فهو بايمانه و سبقته الي الخير يسلک طريقا الي الله تعالي فيري نفسه في حاله لقاء الله و في ظل حکومة الله فيفيض اليه من رحمته و برکاته و يجعله في عيش هنيئه مريئه سابغه و لذلک يطلب الله تعالي هذه الوحده بقوله: فاستبقوا الخيرات الي الله مرجعکم جميعا... يعني بذلک لو انکم ايها الناس استبقتم الي الخيرات ترجعون بهذه السباقه الي ربکم فينبئکم بما کنتم فيه تختلفون.

ثم يامر الله تعالي في اية التسعه و الاربعين ان يحکم بين الناس بما انزل الله و لا يتبع هوي احد من الناس و هذه الحکم بعد الاية الاولي يؤکد امره تعالي باستباق الخيرات لانه لابد لکل خير و عمل صالح من حکم يبين الله تعالي بحکمه وامره عمل الخير و کيفيه العمل الصالح لان الانسان لو سبق الي عمل قبل ان يتبين حکمه، لعله يسبق الي الشر فيظنّه خيرا او يترک عمل الخير فيظنه شرا کما يقول الله تعالي: عسي ان تکرهوا شيئا و هو خير لکم و عسي ان تحبوا شيئا و هو شر لکم..

فلابد للسالک الي الله و الي عمل الخير ان يعلم الخير و الشر ثم يعمل به. فيامر الله نبيه ان يحکم بين الناس و يبين الخير و الشر بما انزل الله لا بما يراه الناس بهوي انفسهم.

ثم يامر رسوله ص بالحذر ان يفتنه الناس عن بعض ما انزل الله اليه. و الفتنه شيئ او شخص او حادثه متزينة بظاهره و مهلکة بباطنه يفتتن الانسان بظاهر هذا الشيئ او الشخص و يغفل عما يدهمه بعد ذلک من المصائب. و من اهم ما يفتتن الانسان به الخطوط العملية التي يظهر بالتعليمات و التبليغات. فان الشياطين يزينون للانسان خطوطهم الي المنافع الدنياويه فيغفله عن مصالح الاخرويه. فکم من الفتن فيما مضي بهذه الفتن و هلک فيها. فيامر الله تعالي رسوله ان يدع الناس و ما يقولونه من خير و شر و ياخذ بما انزل الله اليه. فيقول: و احذرهم ان يفتنوک عن بعض ما انزل الله اليک... فيامره بالثبات و الاستقامه في دين الله يميل بالناس اليه و لا يميل بنفسه اليهم. فان الناس اذا راوا استقامة نبي في دينه و دعوته اما يتبعوه و اما يترکوه. فان اتبعوه ينجون بهذه الاتباع عن مهالک الدنيا و الاخره و ان ترکوه يهلکون بهوي انفسهم بعد ما اتم الله الحجة عليهم. و لذلک يقول: فان تولوا عن دينک و اطاعتک فاعلم ان الله يريد ان يصيبهم ببعض ذنوبهم فيهلکون بهوي انفسهم.

و يدلنا تبارک و تعالي بقوله: ان يصيبهم ببعض ذنوبهم... بان العذاب و الهلاکه مندمجة في الذنوب و العصيان. ان المعاصي طريق و سبيل الي المضار الدنياويه و الاخرويه. فانک لا تري و لا تجد ذنبا فيه شيئ من الخير و لا تجد عملا حسنا و فيه شيئ من الشر..ان الشرور و الافات کلها ياتي الانسان من قبل الذنوب و العصيان. فان العصيان يؤثر اثرها من الشر في ثلاثه مواطن و ياتي من هذه الثلاثه من الشرور و الافات ما يهلکها و يجعلها في نار جهنم.

و هذه الثلاثه احدها نفس الانسان. ان العصيان يؤثّر اثرها في نفس الانسان يجعلها في جهل و ظلمه فيحرمها من لطف الله تعالي و توفيقه .يقول الامام ع: ما من مومن يذنب ذنبا الا و يظهر في قلبه نکتة سوداء. فان تاب الي الله تعالي يمحو الله هذه السوداء و ان اصر علي الذنب يکثر هذه السوداء حتي احاطت بقلبه و يجعل قلبه منکوسا.

و الثاني مما يظهر فيه اثر الذنوب و العصيان ظهورالعداوة و البغضاء بين الناس. فان المذنب يظلم بذنبه نفسه او غيره من الناس فيحرمهم عن حقوقهم و ما قدّر الله تعالي لهم من المنافع فيرجعون اليه ببغض و عناد بما ظلموا.ان المذنب و العاصي مبغوض عند الناس قهرا،لايمکن لاحدان يحب الظالم العاصي الا عن جهل و سفاهه .و الموطن الثالث يظهر اثر الظلم و العصيان فيما يقدّر الله تعالي لاهل الارض من البرکات .فان الله تعالي يرفع بنعمه و برکاته عن ارض و دار يعيش فيها المذنبون الظالمون کما يقول: و لو ان اهل القري امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم برکات من السماء و الارض ولکن کذبوا فاخذناهم بما کانوا يکسبون... فيخبرالله تعالي في هذه الايه ان الذنب و العصيان بنفسها و في نفسها مصيبه و عذاب يرجع الي الظالم و العاصي.

ثم يعرّض الله تعالي قوما لايطيعون الله و رسوله بقوله في اية الخمسين من هذه السوره: أفحکم الجاهلية يبغون و من احسن من الله حکما... فيخبرهم عن غيهم و جهلهم بانهم لو ترکوا بحالهم في جاهليتهم و اعرضوا عن اطاعة الله و رسوله يحکمون علي انفسهم بحکم الجاهليه کما تري اقوام العرب في الجاهلية قبل ظهور الاسلام اصيبوا بعذاب و مشقه کثيره من جهالاتهم و خرافاتهم الي ان حکموا بدسّ بناتهم حيا في التراب بما حکموا بجهلهم ان النساء ضعفاء لايقدرن ان يدفعن عن انفسهن و عرضهن .فتصیبون بالاعداء ايام حربهم فيذللن بذلک و يذل معهن اقوامهن. فکانوا يحکمون بان النساء و البنات دليل النقمه و العذاب. ان البنين و الرجال دليل العظمه و القدره، مع ان النساء في تقدير الله تعالي حسنات و ابواب رحمه من الله العظيم، لو لم تکن لم تکن الحيات و السعاده لا للرجال و لا للنساء. و کذلک کانوا يحکمون في جاهليتهم و خرافاتهم ياکل قويهم ضعيفهم و کانوا يطوفون علي بيت الله عريانا مکشوف العوره ظناً منهم بانه لا يجوز الطواف في لباس اذنبوا فيها و غير ذلک من احکام الجاهليه، يقول الله تعالي: و من احسن من الله حکما لقوم يوقنون...

ثم يخاطب الله تعالي اهل الايمان و يقول: لاتتخذوا اليهود و النصاري اولياء... فينهي المومنين عن قبول ولاية النصاري و اليهود و يقول: و من يتولهم منکم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين... فينهينا ربنا عن قبول ولايتهم. و الولاية بمعني حاکمية الولي علي المولي عليه ان يجعل الانسان نفسه في ولاية احد و حاکميته، فيکون الامر و الاختيار کلها بيد الولي يفعل ما يشاء. فالولاية فوق الحاکميه. فما من ولي الا و هو حاکم مسلط و يمکن ان يکون حاکما و لا يکون وليا. فالولي بمنزلة الاب علي اولاده او بمنزلة النبي علي امته او بمنزلة العالم المعلم علي تلامذته .فلو جعلت احدا وليا علي نفسک جعلت امرک بيده يفعل بک ما يشاء، يجرک الي خير و شر مما يريد و لا يمکن لک ان تدفع عن نفسک و تاخذ بحريتک. و الولاية لا يجوز لاحد علي احد الا الله تبارک و تعالي او رسوله او وصي رسول الله ص او اب مومن. فلو کان الاب المولد لاحد کافرا ليس له الولايه في شرع الاسلام علي اولاده. فيامرنا ربنا ان لا نجعل ولاية امورنا بيد اليهود و النصاري. فانه لو کان لهم الولايه علينا يسلکون بنا مسلک الکفر و العناد لاولياء الله و انبيائه کما فعلوا ذلک بالانبياء، قتلوا اکثر النبيين و صلبوا عيسي ع و ضلّوا عن دين الله تعالي ضلالا بعيدا.فهم في حيوتهم ظالمون متجاوزون و ان الله تعالي لايهدي القوم الظالمين. فلو قبلنا ولايتهم يردوننا عن ديننا فنکون مثلهم ظالمين کافرين .

و ليعلم في توضيح اية الشريفه بان الولايه غير المعاشره. فالولاية ان تجعل ازمة امورک بيد الولي يختار لک ما يشاء و يفعل لک ما يريد.فکانک بعت نفسک منه و جعلت نفسک رقا و ملکا له.فهذا لا يجوز. ان الانسان خلق ليکون عبدا لله و ملکا له، يبيع نفسه ممن خلقه کما يقول الله تعالي: ان الله اشتري من المومنين انفسهم و اموالهم... فالبيعة بمعني البيع و الشراء، لا يجوز لاحد ان يبايع احدا الا ان يکون وليا من اولياء الله مامورا من قبل الله تعالي باخذ البيعه.

و اما المعاشره غير ذلک. فالمعاشره ان تکون في جانب حرا مختارا عاملا عالما بما تريد تکتسب ما ينفعک في الدنيا و الاخره و يکون غيرک ايضا في جانب اخري حرا مختارا عاملا بما يريد و يعمل في جهة ما ينفع نفسه و يکون مع غيره في البيع و الشراء، يبيع منه متاعا و ياخذ منه متاعا، يفيد غيره و يستفيد من غيره،کان الغير مسلما او غير مسلم. فالانسان حر مختار في المعاشره. وسّع الله تعالي له ما بين السماء و الارض يعاشر اهل الارض بحسن الخلق و حسن المعاشره و يفيدهم و ينفعهم في ما يمکن له.فيجوز للمسلم المعاشره و المبايعه مع کل احد يريد و لا يجوز له الموده و قبول الولايه الا من اولياء الله. و لذلک يقول الله تعالي في هذه الايه بان من يتولي اليهود و النصاري فانه منهم و ان الله لايهدي القوم الظالمين.

و التولي من باب التفعل بمعني قبول الولايه. فلو قبلت ولاية احد و جعلت نفسک في اطاعتهم تکون منهم. فان کنت في ولاية اليهود تکون يهوديا او في ولاية النصاري او غيرهم من الطواغيت تکون منهم .فلا يمکن لله تعالي حينئذ ان يهديک لان الله تعالي لايهدي القوم الظالمين .يعني بذلک لا يمکن هداية الظالم في خط الکفر و الظلم. فلو ترک الکفر و الظلم و تاب الي الله تعالي يمکن لله ان يهديه الي دين الاسلام.

ثم يذکر الله تعالي في اية الثالثة و الخمسين حال المنافقين من المسلمين يقول: فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم... فيصف المنافقين اولا بمرض النفاق و ثانيا بما يعتذرون فيما يفعلون. و في ايات اخري ايضا يصف المنافقين بانهم مرضي بمرض النفاق. فالکفار علي ثلاثة اقسام: کافر و منافق و مشرک. فلا يصف الله تعالي الکافر او المشرک بانهم مريض و يصف المنافقين بمرض النفاق. فالکافر يکفر بجهله و الجهل حاکم علي الکافرين و يمکن لهم ان يرجعوا من کفرهم الي الايمان. و کذلک المشرک يلجاً الي غير الله و يعبده بجهله يظن انه هو الذي يرزقه و ينصره. فهو ايضا يمکنه ان يدع جهل نفسه و يرجع الي ربه لان الکفر و الشرک يقع في وجود الانسان بجهله و سفاهته ولکن النفاق مرض في وجود المنافق حاکم عليه يجره الي ما يهلکه في الدنيا و الاخره. فکما ان الامراض في البدن حاکم علي المريض يجره الي الموت الا ان يعالجه، کذلک امراض الروح يجر الانسان الي هلاک الدين و الانسانيه الا ان يعالجه. و مرض النفاق من اشد الامراض لروح الانسان و لا يقدر احد ان يعالج هذه المرض الا الله تعالي. فلا يمکن للمنافق المريض و غيره من ساير الناس ان يعالج مرض النفاق. فيهلک حتما و يرده الي اسفل السافلين.

و يذکر ايضا في هذه الايه اعتذار المنافقين بانهم يقولون: نخشي ان تصيبنا دائره... يعني بذلک ان المنافقين بين المومنين و المسلمين يهابون الکفار في قدرتهم و حکومتهم، يظنون ان اهل الکفر يغلبون علي اهل الايمان فيهلک المومنون و يحيي الکافرون و هم في انتظارهم هذا يعاونون الکفار و المنافقين في دائرة الاسلام ينتظرون يوم غلبه الکفر علي الاسلام فينتفعون بهم في حکومتهم. و ذلک لانهم يرون قدرة الکفار في دنياهم و لايرون قدرة الاسلام و نصرتهم عند ربهم .فيتجلي عندهم المومنون بالفقر و الضعف و الکافرون بالغني و القدره فيسارعون لنفع الکافرين في بلاد المسلمين، يقولون نخشي ان يغلب الکفار علي المسلمين فيصيبنا في غلبتهم العذاب و الهلاک. فيعد الله تعالي المومنين بانه ياتي لهم بالفتح و الغلبه فيندم المنافقون عند غلبة الاسلام و الايمان علي ما اسرّوا في انفسهم و سارعوا بنفع اهل الکفر و النفاق، يقول: فيصبحواعلي ما اسروا في انفسهم نادمين...

ثم يحکي الله تعالي ما يذاکر بين المومنين و المنافقين في اية الثلاثة و الخمسين يقول:

و يقول الذين امنوا اًهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعکم، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين... و ذلک ان الکافرين في بلاد الکفر يعدن المنافقين في بلاد الاسلام و يقسمون بالله اجهد القسم و اشدهايقولون لهم لو فعلتم و عملتم لنا لتقوية امرنا و غلبتنا علي المسلمين الي ان حاربنا المسلمين و فتحنا بلادهم، نعطيکم من الاموال کذا و کذا و من العزة و الرياسة کذا و کذا، ننصبکم في بلادکم ملوکا و رؤساء تفعلون بالمومنين ما تشائون. تسلبون عنهم اموالهم و تعملون فيهم ما تشائون. يغرّون المنافقين بهذه المواعيد و تستخدمونهم لاحياء مقاصدهم و هم يظنون ان الغلبه للکفار عاقبة الامر، فيجدون و يجتهدون لنفع الکافرين. فيخاطبهم المومنون و يقولون لهم اتظنون ان الکفار معکم مقيمين علي ما وعدوکم من الاموال و الرئاسه؟ لا و الله ليسوا کذلک. فان کان لهم الغلبه علينا لا يفون بما وعدوکم، و ان کان الغلبه لنا عليهم نخرجکم من بلادنا او نقتلکم کما قتلنا الکافرين، و الغلبه لنا في واقع الامر لان الله تعالي وعدنا النصر علي الکافرين. فهؤلاء الکافرين حبطت اعمالهم لاينالون ما يريدون من الغلبه علي المسلمين.

ثم يخبر الله تعالي بان المنافقين اصبحوا خاسرين. لا الي الکفار فينتفعوا من دنياهم و لا الي المومنين فينتفعوا من دنياهم و اخرتهم، خسر الدنيا و الاخره و ذلک هو الخسران المبين.

ثم يحکي الله تعالي في اية الاربعه والخمسين تعريضا علي هؤلاء الاعراب الذين لم يومنوا برسول الله ص او امنوا به و لم يطيعوه في اقامة الدين بولاية علي ابن ابيطالب ع اميرالمومنين. فکادوا ان يرتدوا عن دين الاسلام بترک اطاعة اهل البيت ع. فيخبرهم الله تعالي في هذه الايه بانه ياتي بقوم اخري في مستقبل زمان يقيم بهم دين الاسلام بولاية علي ع فهم يقاتلونکم علي الايمان کما قاتلتموهم علي الاسلام . فيخبراولابانهم يرتدون عن دين الله تعالي وکان ارتدادهم بتضييع وصاية الرسول و خروجهم عن طاعة اهل بيته .ثم يخبرهم بانه تعالي: سوف ياتي بقوم يحبهم و يحبونه اذلة علي المومنين اعزة علي الکافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم... فاشعر الاعراب بانه سيسلب عنهم دين الاسلام و يحيي دينه بغيرهم ممن ياتي في مستقبل الزمان. فعلي هذه الايه اخبر رسول الله ص بانه: لو کان الايمان في الثريا لنالوه رجال من الفرس... و اخبرهم امير المومنين ع بان اهل الفرس سيقاتلونکم علي الايمان کما قاتلتموهم علي الاسلام.و في مدار ذلک ظهر دين الله تعالي في الايران باهل الفرس من المومنين.

فيخبر بان دين الله تعالي فضله و رحمته يعطيه من يشاء و يسلبه عمن يشاء. فلا نعمة لله تبارک و تعالي افضل و اغلي من دين الاسلام بهداية القران و ولاية الائمه المعصومين

و لذلک يخبرهم في اية الخمسة والخمسين الرادفة لهذه الايه عن ولاية علي ع و يشعرهم بهذه الايه بان ولاية علي ع و الائمه من ولده ولاية الله فمن امن بهم و قبل ولايتهم فقد امن بالله تعالي و جعل نفسه في ولايته تعالي و من لم يقبل ولايتهم و لم يومن بهم خرج عن دينه تعالي و لحق بالکافرين. فيعرّف عليا ع في هذه الايه و يقول: انما وليکم الله و رسوله و الذين امنوا الذين يقيمون الصلوة و يوتون الزکوة و هم راکعون...

فعرف الناس حين اذ نزلت هذه الايه ولاية الله و رسوله فقالوا يارسول الله انا عرفنا الله و رسوله و لم نعرف الذين امنوا، فقال رسول الله ص انظروا و اسئلوا عن الصحابه، من الذي امن و اقام الصلوة و اتي الزکوه حال رکوعه. فمن اقام الصلوة و اتي الزکوة و هو راکع فهو وليکم بعدي يقوم مقامي. فتفحسوا و لم يجدوا غير علي ع لانه ع کان يصلي و جاءه سائل و استعانه علي رفع حاجته فاتاه خاتمه و هو في رکوعه. فنزل هذه الايه. و هذه الايه خاص في علي ع لانه الذي اقام الصلوه و اتي الزکوه في رکوعه. فعرفه الناس بانه وليهم بعد رسول الله ص

ثم قال الله تعالي في اية الستة و الخمسين بانه: و من يتولي الله و رسوله و الذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون... فاشعر بان من تولي عليا ع بعد رسول الله ص فهو حزب الله و ان حزب الله هم الغالبون. و لذلک دعا رسول الله ص لمن يتولي عليا ع و قال: اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله... و لا ينکر احد ممن صاحب رسول الله ص بان هذين الايتين نزلت في شان علي ع. فعرّفه الله تعالي بالولايه بعد رسول الله ص.

ثم يامر المومنين في اية السبعه و الخمسين بان لايتخذوا اهل الکتاب اولياء فقال: يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينکم هزوا و لعبا من الذين اوتوا الکتاب من قبلکم و الکفار اولياء...

فأعلم المسلمين بان الکفار ممن يشرکوا بالله و يعبدوا الاصنام و کذلک اهل الکتاب اعداء المسلمين بانهم يهزئون بدين الله تعالي و يتخذون الاسلام لعبا. فلو جعلهم المسلمين اولياء لانفسهم و دخلوا في ولايتهم يضلونهم عن دين الاسلام و يدخلونهم معهم في الکفر و الشرک.

فهذه الايه و امثالها ينهي المسلمين ان يکونوا في ولايه الکفار ان يجعلونهم اولياء لانفسهم. فيجوز للمسلمين ان يعاملوا الکفار في البيع و الشراء و التجاره بما يحل لهم من امتعتهم و اسلحتهم و لا يجوز لهم ان يجعلوا الکفار وليا و حاکما علي انفسهم لانهم لو جعلوا المسلمين في ولايتهم يضلونهم عن دين الله تعالي .فالبيع و الشراء فيما يحل للمسلمين جائز ان يبيعوا لهم اويبتاعوا منهم من امتعة الحلال کمثل الطعام و الاحشام و الصنايع من الاقمشه و الالبسه و غير ذلک، و لا يجوز لهم ان يتعلموا منهم دينهم و ياخذوا منهم سننهم و ادابهم في معاشهم و معادهم.

فيصفهم في اية الثمانيه و الخمسين بانهم اذا سمعوا نداء الصلوه اتخذوها هزوا و لعبا ذلک بانهم قوم لايعقلون اذ اصبحوا يسخرون من المومنين صلاتهم و صيامهم و سنن دينهم مع انه لايجوز فيما اجتمعت عليه الملل ان يسخر قوم من قوم و يهزئوا سننهم و ادابهم في مراسم العباده و التجاره. فان الله تبارک و تعالي جعل لکل قوم من الاقوام شريعة و منهاجا، اعتقدوا بها و جعلوها نظاما لمعاشهم و معادهم و لو لم يکن فيهم السنن و الاداب انقلبوا في هرج فيفسد بهم حيوتهم و حيوة غيرهم من الاقوام. و ذلک فقد ثبت في العلم و التاريخ بان نظام العالمين في حيوتهم لحفظ دمائهم و نفوسهم ياتي من قبل العقائد و السنن و لذلک جعل الله تعالي لکل قوم من الاقوام دينا يتدينون به و امر من لم يتدين بهذا الدين ان يقدّس عقائد الاقوام و ادابهم و لايهزئوا بدينهم بل يتظاهر بسنتهم و ادابهم مادام فيهم لئلا ينهدم عقائدهم و سننهم فينقلبوا فاسدين مفسدين.

فعلي هذه القاعده التي اجتمعت عليها اهل الارض يجب علي کل احد ان يقدس دين الاقوام و ان لم يکن معتقدا بها ولکن الکفره من هؤلاء اليهود خرجوا عن هذه القاعده و هزئوا بها.

فانهم اذا سمعوا نداء الصلوه و اجتماع المسلمين في مساجدهم اتخذوها هزوا و لعبا فترکوا العقل و اخذوا بالجهاله و السفاهه. و لذلک ينسبهم الله تعالي بترک العقل و قال: انهم قوم لايعقلون...

ثم يامر الله تعالي رسوله ص ان ينادي فيهم و يقول: يا اهل الکتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله... يقول لهم رسول الله ص يا اهل الکتاب لم تهزئون بنا و تؤذوننا انما تعذبوننا بجرم الايمان بالله و کتاب انزل الينا و کتاب انزل من قبلنا علي نبيکم .فيجب عليکم يا اهل الکتاب ان تکرموننا بما امنا بنبيکم و دينکم و اصلحنا ما افسدتم دين نبيکم. فلستم من اهل الايمان و التقوي اذ اصبحتم تهزئون و تنقمون ممن امن بنبيکم و کتابکم و اصبح من اخوانکم المومنين .فلستم يهوديا و لا نصرانيا. و لو کنتم امنتم بنبيکم و کتاب نبيکم لکان يجب عليکم ان تکرموامن امن بنبيکم وکتابکم فانتم فاسقون کافرون و لذلک جعل الله تعالي منکم القرده و الخنازير و عبد الطاغوت. فلو کنتم مومنين بنبيکم لم يمسخکم ربکم و لم يترککم في عبادة الطواغيت و الجبابره. فانتم شر مکانا و اضل عن سواء السبيل...

ثم يقول: و اذا جاؤکم قالوا امنا و قد دخلوا بالکفر و هم قد خرجوا به...

فيحکي في هذه الايه و هي ايه الاحدي و الستين نفاق هؤلاء اليهود.فيخبر رسوله بان هؤلاء الکفره من اهل الکتاب انتقلوا من الکفر الي الشرک و من الشرک الي النفاق .فان الکفر الي الانتهاء ثلاثه درک کما ان الايمان الي الانتهاء ثلاثه درجه .فيوصف مراتب الايمان بالدرج و مراتب الکفر بالدرک. يقول الله تعالي: ان المنافقين في الدرک الاسفل من النار.. ففي اول المراتب يعرض الانسان عن الايمان فينقلب کافرا و بعد الکفر يري نفسه ضعيفا لابد له من ملجاً يلجاً اليه .فيعبد صنما او طاغوتا فيصبح مشرکا، ثم يرجع الي ايذاء اهل الايمان و الاضرار بهم، يلبس لباس النفاق يتظاهر بين المومنين بالايمان و هو کافر مشرک فيفتتن به المومنون يضلون به عن سبيل الله. فيخبر في هذه الايه عن نفاق هؤلاء الکفره من اهل الکتاب يقول: اذا جاؤکم قالوا امنا... في حال انهم کافرون خارجون عن ربقة الايمان. يظنهم المسلمون مومنين و هم مشرکون منافقون. فيقول في ذيل هذه الايه: و الله اعلم بما کانوا يکتمون... فانهم يکتمون کفرهم ونفاقهم ويتظاهرون بالايمان .

ثم يخبر عنهم في اية الاثنين والستين بان کثيرا من هؤلاء اليهود يسارعون بالاثم و العدوان و اکل مال الحرام لبئس ما کانوا يعملون... فيعرض في الاية الثلاثة و الستين رؤساء دينهم و علمائهم يقول: لولا ينهيهم الربانيون و الاحبار عن قولهم الاثم و اکلهم السحت لبئس ما کانوا يصنعون... فالاحبار علماء دينهم و الربانيون زهادهم و عبادهم. فکلا هذان کانوا يقودون الانسان في طول التاريخ و يحکمون عليهم في دينهم. فان الناس في فطرتهم مشتاقون الي ربهم متدينون بدين نبيهم مطيعون منقادون لرؤساء مذهبهم. و هؤلاء الرؤساء علي قسمين: قسم منهم الهيون ربانيون متعهد بدعوة الناس بدين الله تعالي و تربيتهم و تاديبهم ليکونوا مسلمين مومنين من اهل الجنه. فهذا القسم من الانبياء و العلماء و الزهاد و العباد اکثر همهم نجات الانسان من الکفر و الالحاد. و قسم اخري منهم العلماء و الرؤساء الذين يطلبون الدنيا و الرياسه في قيادتهم يضلون الناس بنفاقهم عن دين الله تبارک وتعالي. فهم قطّاع الطريق، قطعت طريق دين الله تعالي يطلبون الدنيا بدينهم فيضلون و يهلکون عباد الله. فهؤلاء الرؤساء يتمسکون باهل القدره و الثروه يزيّنون لهم دنياهم في لباس دينهم فيتمکّنون بهم الضعفاء و يتسلطون بهم علي المستضعفين لاينهون الرؤساء و الاثرياء من الظلم و العدوان و يعينونهم و يمکّنونهم في ظلمهم و عدوانهم و يوجّهون لهم. فهؤلاء الرؤساء من العلماء و العبّاد شر الناس و هم قطعت طريق دين الله يدعون الضعفاء بلسانهم الي دين الله و يقطعونهم باعمالهم عن دينه تعالي.

ثم يذکر الله تعالي في اية الاربعة و الستين قسم اخري من صفات اليهود و عقائدهم السخيفه حيث انهم يقولون و يظنون ان يد الله مغلوله لايتصرف في شيئ و لا يفعل شيئا و لا يفرّج عن عباده البلايا و الکربات، لا يرزقهم بل ترکهم في ميدان الحيوة يفعلون ما يشائون من خير و شر، حَکَم عليهم اهل الحق او الباطل. فبذلک يهزئون باهل العباده و الدعاء و التقوي و يقولون لهم لم تسئلون ربا و تعبدون الاهاً لايقدر علي شيئ، مغلولة يداه. فيدعو الله تعالي بذلک العقيدة السخيفة عليهم يقول: غلت ايديهم و لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان...

فان اليهود لما راوا في حياتهم کثرة الذنوب و الاثام و شيوع الظلم و العدوان و راوا الجبارين متسلطين علي الضعفاء يقتلون الانبياء بغير حق و لا يفعل الله عليهم شيئا من نزول العذاب و الدمار، ظنوا من ذلک ان الله تعالي مغلولة يداه لايقدر علي شيئ. و لم يعلموا بان الله تبارک و تعالي يمهل الظالمين و العاصين في ظلمهم و طغيانهم لعلهم يتوبوا بعد ان کثر ذنوبهم او يهلکوا بکثرة الظلم و العدوان. و کذلک يامر الله تعالی الانبياء ان يصبروا علي ما ينالهم من العذاب بيد الکافرين الظالمين. فاذا کان الله يمهل الظالم و المظلوم ليکمل هذا طغيانه و ذاک ايمانه، يجب علي الله تعالي ان يدع الظالمين في ظلمهم و المومنين في ايمانهم ليصبروا فيستحقوا بصبرهم اجرا عظيما و يکفر به هؤلاء الکفار فيستحقوا بکفرهم عذابا اليما. فهذه المهلة و الانذار للکافرين و العاصين علي حکمة الله تعالي و حلمه لتربية الناس لا انه مغلوب بعصيان العاصين او مغلولة يداه بظلم الظالمين بل هو تعالي في علمه و قدرته غير متناه لا يعجزه شيئ في السماوات و الارض و هو علي کل شيئ قدير.

و لذلک يقول: بل يداه مبسوطتان ينفق کيف يشاء... يکنّي عن رحمته و فيضه باليد. فکما ان الانسان يرحم و يعطي بيده کذلک يغضب و يهلک بيده، کذلک الله تعالي يرحم قوما و يغضب علي قوم اخري و يداه ارادته تبارک و تعالي او يد اوليائه و انبيائه. فان يد النبي و الولي فيما يعمل و يمنع و يعطي يد الله تعالي کما يحکي عن بيعة الناس برسوله يقول: يد الله فوق ايديهم... و يداه بمعني يد المنع و العطاء او يد الرحمه و الغضب . فانه تعالي اذا انعم علي قوم رحمهم باِنعامه و اذا منع عن قوم رحمهم بمنع العطاء. فيد المنع و العطاء منه سيّان. يعطي فيرحم عباده بالعطاء و يمنع فيرحم عباده بالتربيه ثم يهيّئهم بمنعه الي عطائه. فانه تعالي يجعل العباد في فقر ليطلبوا منه الغني و في مرض ليطلبوا منه السلامه و في ضعف ليطلبوا منه القدره. فيجعل عباده في اضداد من النعم ليطلبوا منه رحمته و نعمته فيرحمهم و ينعم عليهم. فما احسن ما يقول الشاعر الفارسي:

اگر تو زخم زني به، که ديگري مرهم و گر تو زهر دهي به که ديگري ترياق

فانه تعالي لايفوت عنه العلم و الحکمه. يفعل کل فعل في وقتها و اوانها.

ثم يخبر الله تعالي في ذيل الايه عن وضع اليهود في مستقبل امرهم فيما يقولون و يعملون يقول: و ليزيدن کثيراً منهم ما انزل من ربک طغيانا و کفرا... فان قوم اليهود من اشد الناس تجاوزا و عداوتا لله تعالي و اوليائه. فکما کانوا في ابتداء ظهورهم و اوائل حياتهم من افضل الناس و فضّلهم الله تعالي علي العالمين کذلک انقلبوا في انتهاء تاريخهم و حياتهم من اشر الناس و اشدهم عنادا و عداوة لله تعالي و للمومنين. بدء تاريخ اليهود بظهور ابراهيم الخليل و اسحاق و يعقوب و يوسف. فکان ابراهيم ع من افضل الانبياء ايمانا بالله و رحمة و برکة للمومنين، جاهد في الله حق جهاده و بارز الطواغيت و عبدة الاصنام الي ان اجتمعوا عليه و ألقوه في النار. فجعل الله تعالي النار بردا و سلاما علي ابراهيم. فهابه الکفار و خافوا منه لما راه في هذه العظمه و القدره ولکن لم يومنوا به و اخرجوه من بلادهم. ثم بارک الله تبارک و تعالي في ابراهيم و رزقه ولدين ذکرين اسماعيل و اسحاق و جعل النبوه و الولاية في صلبهما و ذريتهما الي ظهور محمد ص خاتم النبيين. فجعل من ولد اسحاق الانبياء و اکمل عزتهم بظهور نبي مثل يوسف و موسي، اعطاه الله تعالي ملک مصر و نجي به الاقوام من الجوع في قحط السنين عليهم. فاحبه اهل مصر لما راوا ظهور البرکه و القدره و الثروه و العدالة به و النجاة من بلاء القحط و قفر البلاد. فاحبوه و اخوانه و ذريته من ولد يعقوب حبا شديدا و راوا انهم في ظل رحمة الله و راوا ما فعل الله تعالي بابائه ابراهيم و اسحاق و يعقوب اَن بارک الله فيهم.

فاخرج من صلب يعقوب الانبياء و من صلب اسماعيل الاولياء، بني لهم بيت العتيق و الکعبه و جعله مَطافا لعباده و حرم امن للناس يلجئون اليه من کل فج عميق. فکان الله تعالي جعل ابراهيم و ولده من الانبياء و الاولياء مبدء الخير و العزه و الکرامه الي يوم القيامه، فکانوا بذلک من افضل الامم کما يقول الله تعالي: و فضلکم علي العالمين... جعل لکم عزة ظاهرة بالملک و السلطنه. فکان ابراهيم و ذريته من افضل الناس و اعز الناس علي الله تبارک و تعالي. فاکمل لهم العزة الظاهره بالسلاطين و العزة الباطنه من العلم و الدين بالانبياء کما يقول: و جعلکم ملوکا و اتيکم ما لم يوت احداً من العالمين...

ثم انهم لم يشکروا ما انعم الله عليهم بالملوک و النبيين و ظنوا في انفسهم انّ لهم حق علي الله تبارک و تعالي بانهم من ولد ابراهيم. فظنوا انفسهم من اولياء الله و احبائه و ان الله خلق لهم الدنيا و الاخره و لم يعلموا بان هذه الفضيله و النعمه انما هي بانهم اهل دين الله تعالي و انهم في اطاعة النبيين لايظلمون احدا و ان کانوا يُظلمون. فترکوا ملاک الفضيلة و العزة من حب الانبياء و اطاعة النبيين فحرّفوا کلمات الدين عن مواضعه، حرّموا حلاله و احلّوا حرامه و اکثروا البدعة في دين الله. ثم وثبوا علي الانبياء و قتلوهم او اخرجوهم من ديارهم فاکل قويهم ضعيفهم و غنيهم فقيرهم و اکثروا في ما بينهم التجاوز و العدوان. لم يظهر فيهم نبي فيما بين موسي و عيسي الا قتلوه و قتلوا عيسي ابن مريم و قالوا فيه و في امه الطيبة الطاهره الباکره ما قالوا من التهمه و البهتان الي ان عارضوا و بارزوا محمداً ص. فغضب الله عليهم و لعنهم و القي بينهم العداوه و البغضاء الي يوم قيام القائم ع. فانقلبوا اشد الناس عداوة لله تعالي و لنبيه و للمومنين. فغضب الله عليهم و صاروا بذلک من المغضوبين عليهم.

فلم يقدّر الله تعالي لهم ملکا و حکومه الي يوم قيام القائم کمايقول: ضربت عليهم الذلة و المسکنه و بائوا بغضب من الله...

و هذه الايه ايضا دليل واضح علي ان قيام القائم ع هي القيامة الموعود و اکثر الناس يظنون ان الحياة يوم قيام القائم ع من نوع الحياة الدنيا و الناس مبتلون فيها و يمحّصون بالبلايا و المصائب کما هم في الحياة الدنيا قبل قيام القائم ع و يظنون ان القيامه و اليوم الموعود بعد قيامه ع و ان الحياة يوم قيامه من جنس الحياة الدنيا لا من جنس الحياة الاخره.

و نظير هذه الايه کثير في القران يدل دليلا واضحا بان قيام القائم هي القيامه و ان هذه الايات فسرت بقيام القائم ع. و اليک کتاب( الزام الناصب في اثبات حجة الغائب )جمع مؤلفه فيها زهاء مأتي حديث في تفسير الساعه و القيامه و الاخره و يوم الدين بان کلها قيام القائم ع. فَسّرت الائمه ع الساعه بيوم قيامه و الاخره و القيامه و يوم الدين بقيامه ع و اخبروا بان القائم انما يقوم للحساب و يقوم معه الائمة المعصومون و الانبياء المرسلون.

ففي هذه الايه يخبر الله تعالي بانه يلقي بين اليهود العداوة و البغضاء الي يوم القيامه. و الدلائل کثيره بان القائم يفتح الارض کلها و يجعل الناس جميعاً علي دين الاسلام بهداية الائمة المعصومين و لايهوديةً و لا نصرانيةً و لا مجوسيه و لا دينا اخري يوم قيامه ع. فمن کان مومنا يفرج عنه بحياة الجنه و من کان کافرا ينتقم منه بعذاب النار. فهذا يوم الفتح الاکبر.

فلو کان القيامة بعد قيامه ع يجب ان يکون اليهوديه و النصرانيه و ساير الاديان في قيامه و يکون الناس مختلفين متفرقين، مسلم و غير مسلم. فهذا خلاف ما اخبرت به الاخبار و الروايات. فلا دين يوم قيامه الا دين الاسلام و لا حياة لاحد الا المومنين و انه يستاصل اهل الکفر و النفاق و يبعّدهم عن وجه الارض و يخرج ايديهم صفرا. فوصف الله تعالي في هذه الايه يوم قيامه بيوم القيامه.

و لذلک يقول في اخر الايه يخبر عن اليهود بانهم کلما اوقدوا نار الحرب ليکون لهم عيشا کاملاً مستقلا، يطفئ الله تعالي نار حربهم و يجعلهم في وحشة و دهشه غير امنين و غير مستقلين. فيخبر هذه الايه عن الغيب في احوال اليهود. فکان لهم قبل ظهور الاسلام دولة مستقله يحکم عليهم ملوک منهم و يهديهم نبي من انفسهم. فکانوا مستقلين امنين في حياتهم الديني و الدنيوي. فلما بعث الله تعالي خاتم النبيين و دعاهم رسول الله ص الي دين الله لم يقبلوا دعوته مع انهم کانوا ينتظرون ظهوره و قيامه. فناصبوا الحرب علي رسول الله يوم الاحزاب و يوم خيبر و ساير الايام. فسلط الله عليهم المسلمين، شتتوهم و بدّدوهم عن ملکهم و دينهم و فرقوا جمعهم فلم يبق لهم ملک و مملکه يعيشون فيه باستقلال و حريه و جعلهم الله تعالي في سلطة الاسلام و المسلمين. فلم يمکّن و لم يتمکن لهم اجتماع ديني و دنيائي. فاخبر الله تعالي عن تشتتهم و تفرق جمعهم الي يوم قيام القائم. فقال: القينا بينهم العداوة و البغضاء الي يوم القيامه کلما اوقدوا نارا للحرب اطفأهاالله... فهم الي يوم القيامة في خوف و وحشه و فسادعلي وجه الارض و الله لايحب المفسدين .

ثم يخبر في ايتين الخمسة و الستين و الستته و الستين بان اهل الکتاب لو امنوا و اتقوا لکفّرنا عنهم سيئاتهم و لادخلناهم جنات النعيم... ثم يسهّل عليهم امرهم و يقول و لو لم يسلّموا و لم يومنوا برسول الله و اقاموا التوراة و الانجيل يبارک الله تعالي عليهم ولکنهم لم يومنوا بدين نبيهم و بدين رسول الله ص، کفروا بنبيهم و نبي الاسلام.

فيخبر في هذين الايتين ملاک ما غضب الله عليهم و ملاک استيصالهم بالمومنين و المسلمين. يخبر عن کفرهم بجميع الانبياء. ترکوا ملاک الفضيله و العظمه و کفروا بالله العظيم. فکما قلنا، عبدوا الاصنام و فرّقوا بين بني اسرائيل، عظّموا الاغنياء و حقّروا الفقراء و اکلوا قويهم ضعيفهم. اخرجوا الضعفاء من ملکهم و دينهم و قتلوا الانبياء علي ما کانوا يامرونهم بالمعروف و ينهون عن المنکر و خرجوا عن دين الله و عن فضائل الانسانيه و دخلوا في الکفر و النفاق. آل امرهم الي ان حاربوا رسول الله خاتم النبيين ص. فلو امهلهم الله تعالي في عيشهم و حياتهم لکانوا ضيّعوا الاسلام و المسلمين و ضيّعوا کتاب الله القران العظيم کما ضيّعواالتورات و الانجيل و غضب الله عليهم و سلب عنهم القدره و الاستقلال، فرّق جمعهم و جعلهم متشتتين و متبددين في خوف و وحشه الي قيام القائم ع.

ثم انه من لطائف هذين الايتين ما يعدهم الله تعالي في اية الاولي و الثانيه. فانک تري ما به التفاوت بين هذين الايتين و وعدالله تعالي فيهما. ففي الاية الاولي يعدهم لو انهم امنوا و اتقوا يکفر عنهم سيئاتهم و يدخلهم جنات النعيم و في الاية الثانيه يعدهم بانهم لو اقاموا التورات و الانجيل لاکلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم. ففي الاية الثانيه يعدهم المال و الثروة و البرکه في الدنيا و في الاية الاولي يعدهم تطهير النفس و الحشر مع اولياء الله في جنات النعيم. فالفرق بين هذين الوعدتين هي ما بين السماء و الارض. فان اهل الکتاب مامورون في کتبهم و ما امرهم به انبيائهم و بشّروهم بظهور محمد ص خاتم النبيين بان لو ادرکوا رسول الاسلام، يترکوا ما بين ايديهم من الرسوم و السنن و امنوا برسول الله ص. فانه ياتي بدين و کتاب تام کامل فيها جوامع الکلم من الاحکام و الاخلاق و العلوم، لو امنوا به و بکتابه کانهم امنوا بالانبياء جميعا و اخذوا منهم العلم و الحکمه. و لو کفروا بدين النبي و کتابه و اتخذوا بما في ايديهم من السنن و الاداب، منعوا عن العلم و الحکمه و ابتلوا بالخرافات و الموهومات بما يعلمون بان علمائهم في قديم الايام ضيعوا و حرّفوا التورات و الانجيل و اسقطوا منها اکثر الاحکام التي يراعي فيها حقوق الفقراء و الضعفاء.

فيجب عليهم ان يدعوا التعصب و السفاهه و يترکوا ما بين ايديهم من الکتب الماضيه و امنوا برسول الله ص و کتابه. فلو فعلوا ذلک لقد هاجروا من النقص الي الکمال و من الباطل الي الحق و جاهدوا هوي انفسهم بهذه الايمان و التقوي فيثيبهم الله تعالي بجهادهم هذا تکفير السيئات و تطهير القلوب و الحشر مع اولياء الله في الجنان ولکن لو لم يترکوا هوي انفسهم و لم يجاهدوا انفسهم و اخذوا بالتعصب و الجهاله و داموا في دينهم و طريقهم فلايکونوا علي الاسلام و المسلمين و يعيشوا في صلح و سلام مع النبي و امته و يقيموا ما امرهم نبيهم باقامة التورات و الانجيل. لايسلمون و لا يحاربون المسلمين و يکونوا في صلح و سلام مع العباد لا يتجاوزوا حدّهم، فلو کانوا کذلک يعدهم الله تعالي کثرة البرکات و العيش الهنيئه في الدنيا باقامة التورات و الانجيل و لا يعدهم ربهم بتطهير القلوب و تکفير السيئات لانهم وقعوا في حميتهم الجاهليه اذ شاهدوا الحق في دين الاسلام و لم يومنوا به. و دليل هذين الوعدين لهما من الله تبارک و تعالي ان يعدهم بالايمان و الاسلام تطهير القلوب و الدخول في الجنه و في صورة اقامة التورات يعدهم الدنيا و لا يعدهم تطهير القلوب انه لابد من تطهير القلوب ان يدعوا هوي انفسهم و يؤمنوا بالله العظيم و يترکوا التعصب و الجاهليه و امنوا بمحمد ص خاتم النبيين اذ اتاهم بدين کامل و الاخلاق الکريمه فقال: اني بعثت لاتممّ مکارم الاخلاق...

فانه لابد لتطهير القلوب و تکامل النفس من علم کامل و اخلاق فاضله کريمه و لا يکون في کتبهم و دينهم الذي يتدينون به مثل هذه العلوم الکامله و الاخلاق الکريمه. فلا يصلح امر الانسان و لا يزکّوا باخلاقه في المکاتب الناقصه التي لا يکون فيها برنامچ لتطهير القلوب من الرذائل و التخلق باخلاق الکريمه. و کيف يمکن اصلاح النفس في مکاتب لاتصف الله تعالي کما هو حقه و کما يصف هو تعالی نفسه بل ينزّل الله تعالي عما يليق به في ربوبيته و الوهيته و يشبّهونه بما عليه عباده، يجعلون لله ولدا و صاحبةً کما تقول اليهود بان عزير ابن الله و تقول النصاري بان المسيح ابن الله و غير ذلک من صفات لايناسب شان الالوهيه. ثم فيما يعتقدون من مسائل ثواب و عقاب تظن اليهود بانهم اولياء الله و احبائه و ان الله يدخلهم الجنه بانهم من ولد ابراهيم و امهم ساره زوجة ابراهيم من غير ان يکونوا مومنين متقين صالحين. يظنون ان بين الله و بين خلقه قرابة من حيث ان بعضهم من ولد انبياء و ابناء ملوک. فيتهمون الله تعالي في توحيده و عدالته. فکان توحيدهم و معارفهم علي اساس القرابه و التبعيض. فينهدم في مثل هذه المکاتب بنيان العقول و المعارف و بنيان العدالة و التقوي. فلا يصلح امر الانسان في مثل هذه المکاتب و لا يطهر قلوبهم فلا يمکن ان يعدهم الله تعالي و هم في مکاتبهم و عقائدهم هذا تطهير القلوب و اصلاح النفس .

ثم يامر الله تعالي رسوله في اية السبعة و الستين بابلاغ امر عظيم بحيث ان لو لم يبلغ هذا الامر کانه لم يبلغ رسالته العظيم. يقول: يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليک من ربک... و ان لم تبلغ هذا الامر کانک ما بلغت شيئا من رسالة الله و لا تخف من الناس في تبليغ هذا الامر العظيم الذي هو بمنزلة الروح و الحياة في حياة الرساله لا بحيث ان هذا الامر يوازي رسالة الانبياء حتي يکون الرساله نصفامن دين الله وتبليغ هذا الامر العظيم نصفا اخري او يکون تبليغ الرساله واحدا من ماه او الف و تبليغ هذا الامر بقية الرساله. فانه تعالي يعرّف تبليغ هذا الامر بحيث لو لم يبلّغ.لم يبلّغ رسالته شيئا و بحيث لو لم يبلّغ هذا الامر يعدم معه دين الله تعالي لان رسالة محمد ص خاتم النبيين رسالة جميع الانبياء و المرسلين، و کل ما اتت به الرسل و الانبياء ادغمت في دين الاسلام و حييت برسالة خاتم النبيين ص و اَن لو لم يکن الاسلام علي وجه الارض لم يکن دين ابدا. فانک تري ساير الاديان من اليهودية و النصرانيه و بودا و زردشت لم يظهر بها الا کفر و فسوق و عصيان، و هل يُصلح امر الناس باليهوديه مع ما تريهم اکثرَ الناس ظلما و فسادا. و النصرانيه کذلک شر منهم. ظهر الفساد بهم في البر و البحر. فلا يقدر هذه الاديان بما فيها من الخرافات و العقايد السخيفة الجاهليه ان يصلح بها امر الناس و يطهّر بها قلوبهم. فکل ما جائت به الانبياء وضيّعته البشر، جعلها الله تعالي في رساله محمد خاتم النبيين ص. فدينه و ما اتي به دين الله تعالي و دين ملائکته و دين انبيائه و رسله و مع ذلک يقول الله تعالي بانه لو لم يبلغ هذا الامر العظيم کانه لم يبلّغ رسالته و لم يبلغ رسالة الانبياء. فيعدم الدين بکله لو عدم هذا الامر العظيم. يقول: اِن لم تفعل فما بلّغت رسالته... کانه جعل الله الولاية روح النبوه، ان لم يکن الروح لم يکن الجسد.

و ليعلم ان هذه السوره اخر سورة نزلت علي رسول الله ص بعد ان رجع الي المدينه من حجة الوداع، و حجة الوداع اخر حِجة حَجّهُ رسول الله ص. فوادع الحج و الناس في هذا الحج. قام فيهم خطيبا و ابلغ الناس انه يوادعهم في خطبته هذا و قال فيما قال: اوشک ان اُدعي فاجيب... و لذلک سميت حجة الوداع لانه صلی الله عليه و اله مات بعد ثلاثة اشهر من هذا الحج في اخر شهر صفر المظفر و هذه السوره نزلت عليه بعد حجّهُ قبل وفاته في هذه الثلاثه. فانه ص ابلغ الناس الدين بتمامه و کماله من الاحکام و الحلال و الحرام و من الاخلاق والعلوم و الحقائق. فکان يقول ص: ما من شيئ يقرّبکم الي الجنه و يبعّدکم عن النار الا و قد قلته لکم... فکان عليه الصلوة و السلام قد بلّغ الدين بتمامها و کمالها و جعل القران بيد الناس من البدو الي الختم. و کان سورة المائده اخر سورة انزلها الله تعالي علي رسوله و هذه الايه اخر اية نزلت عليه في مقام الولايه. فلا يجوز لاحد ان يقول ان الله تعالي يامر رسوله بتبليغ الاحکام من الحلال و الحرام و يقول ان لم تفعل فما بلّغت رسالته. فان کان المراد من هذه الايه تبليغ دين الله و احکامه لکان يجب علي الله تعالي ان يجعل هذه السوره اول سورة ينزل علي النبي. بل جعلها اخر سورة نزلت علي رسوله. و يکشف من هذه الايه بان رسول الله ص قد بلّغ رسالة الله تعالي قبل نزول هذه الايه و في هذه الايه يامره بامر عظيم يقول له ان لم تبلغ هذا الامر کانک ما بلّغت رسالة ربک من شيئ.

فيجب علي الناس ان يطلبوا هذا الامر العظيم الذي به حياة رسالة رسول الله ص. فنسئل من ذوي اللب و الحجي و اهل الخبرة و الدرايه ما هي هذا الامر الذي اذا ابلغه رسول الله ص ابلغ رسالة الله و ان لم يفعل و لم يبلّغ هذا الامر العظيم کانه لم يفعل شيئا في طول حياته و لم يبلغ شيئا من رسالة ربه. و لعلک يجيبني من هذا السؤال بان الامر العظيم هي القران و احکامه من الصلوة و الزکاة و الحج و الجهاد و غير ذلک من الحلال و الحرام مما بيّنه الله تعالي في کتابه. فاوجب علي الرسول ص تبليغ الکتاب و احکامه. فنقول في جوابک نزلت هذه الايه في اخرالايات و هذه السوره في اخر السور و قد بلغ رسول الله ص قبل نزول هذه الايه کل الايات و کل السور و ما فيها من الاحکام و العلوم و الحِکَم و الحلال و الحرام. فکان هذه التبليغ رسالته في مدة نبوته ثلاث و عشرين سنه و قد بلّغ رسالة الله تعالي کُمّلا کاملا حيث قال: ما يقرّبکم شيئ الي الجنه و يبعّدکم عن النار الا و قد قلته لکم... فلم يبق شيئ من رسالة الله تعالي الا و قد ابلغه بتمامها و کمالها و مع ذلک يقول الله تعالي: ان لم تفعل هذا کانک ما بلغت رسالة ربک. فلا يمکن ان يکون هذا الامر العظيم شيئ من الکتاب و السور و المناسک و الاحکام. فليطلب هذا الامر العظيم الذي به حياة دين الله و حياة رسالة رسول الله، و ما هي الا الامامه و الخلافة بعد رسوله لان الدين کلها مکتب و علم و کتاب و دار علم و مدرسه و لا يقوم المکتب الا باهلها من المعلمين و الاساتذه المتخصصين بما في هذا الکتب. هل يجوز لذي لب بصير ان يبني دار علم و مدرسة و مکتبة و يکتب لها کتابا فيها کل العلوم و الحکم فيترکها في الفلوات بايدي السفهاء الذين لا علم لهم بما في هذا المکتب و کتابه؟ الا ان يفوّض امر هذا المکتب بيد عالم بصير فقيه بما فيها من العلوم و الحکم. فالاسلام هي هذه المکتب و القران کتابه و قد علم مما مضي و ما ياتي بانه ما جمع علم الاسلام و القران کله الا علي ع و اولاده المعصومون ع.

فيعلم قطعا يقينا بهذه البراهين و الدلائل بان هذا الامر العظيم کما روي في تاريخ الاسلام هي الامامه و الخلافه بعد رسول الله ص و حادثة الغدير من اشهر حوادث تاريخ الاسلام اقامها رسول الله ص. و ما اکثر الروايات يروون کلهم بتواتر و تکاثر من اهل السنه و الجماعه بان رسول الله ص بعد ما رجع عن حجة الوداع في حجة حجه سنة الثانيه و العشر من هجرته ،وصل في موضع يتفرق فيه الحاج، کل ياخذ طريقا الي وطنه و وصف هذا الموضع بالغدير لانها يجتمع فيها المياه من الغيث و المطر ياوي اليها الظمأن يشرب منها لرفع العطش. فنزل فيها رسول الله ص ثم نادي مناديه ان يرجع من تجاوزعن هذا الموضع و يلحق بها من تأخر عنهم حتي اذا اجتمع فيها زهاء مأة و عشرين الف من المسلمين. فبني له ص منبر من جهاز الابل صعد عليها و اقام عليا عنده فخطب خطبة غراء يملأ بها صفحات من الکتب و قال: معاشر الناس اوشک ان ادعي فاجيب فقد امرنی الله تعالي مراراً ان اُعرّفکم خليفتي و وصيي من بعدي لانه لا ينقضي ايام نبي الا و ينصب الله تعالي له وصياً و خليفة من بعده... فاخذ بيد علي ع و ابلغ الجملة المشهوره من الفريقين و قال: من کنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله... و الخطبة مفصله مشروحة مشهوره يخاطب فيها الناس مراراً بقوله: معاشرالناس " ثم يصف فيها اوصيائه واحدا بعد واحد بما هم فيه من العلم و الحکمه و اخذت الناس من هذه الخطبة المفصله المشروحه هذه الجملة فقط، نقلوها في کتبهم.

و اليک کتب( الغدير )الّفه علامة الاميني رحمه الله تعالي نقل فيها کلّما حدث بين الفريقين من هذه الحادثة العظيمه من الجدال و الاحتجاج و التصديق و التکذيب و ما وصفه العلماء هذه الحادثه بعد رسول الله ص و ما مدحه المدّاحون و انشده الشعراء، وصفوا هذه الحادثه في اشعارهم و احتجاجاتهم، ردّواعلي من انکر حادثة الغدير و وصية رسول الله ص. فوقعت المسلمون في اختلاف شديد من هذه الحادثه، اختلف ارائهم تصديقا و تکذيبا و رداً و قبولا. فمنهم من انکر فضائل علي ع الي ان ظنّه من اکفر الکافرين و منهم من قبل و صدّق فضائله الي ان جعله فوق الانبياء و المرسلين، الي ان ظنّه ربّا و إلاهاً. يقال: مات الشافعي و ليس يدري عليٌ ربّه ام ربّه الله... و بين هذين الجهتين من العقائد و الاراء في عليّ ما لايحصي کثرة و اختلافا. فهو ع المصداق الکامل لسورة النبأ" حيث يصفه الله تعالي بانه: النبأ العظيم الذي هم فيه يختلفون...

و في اخر هذه الايه دليل بارز واضح علي ان المراد من تبليغ ما انزل الي الرسول في هذه الايه تعيين الخلافه و الامامه من بعده حيث يؤمّن الله تعالي رسوله من شر المنافقين و منکري فضائل اهل البيت عليهم السلام يقول: و الله يعصمک من الناس ان الله لايهدي القوم الکافرين... فيخبر بان في امة رسول الله مومن و منافق و کافر. المومن يومن برسول الله ص و الائمه من بعده و الکافر و المنافق لايومن برسول الله ص و لا بالائمه بعده. فکان رسول الله ص يخاف فتنة هؤلاء الکافرين و المنافقين ان يردّوا عليه ولاية علي عليه السلام و لا يقبلونه منه فيقع في امته النزاع و المشاجره فيختلفون في دينه فرَقاً، فرقة منهم يومن و فرقة اخري يکفر.فيذهب الاختلاف و التفرقه بدين الله. فکان رسول الله ص يخاف من هذه الفتنه و الاختلاف او يخاف ان يهجم عليه المنافقون من المسلمين فيقتلونه و يضيعون دينه و کان خوف رسول الله ص من ضياع دينه و ظهور الفتنه في امته اشد من خوفه علي نفسه. فکان يسئل عن الله تبارک و تعالي إمّا ان يهدي القوم الکافرين بولاية علي ع فيطيعونه و يسلّمون الامر اليه و اما ان يعصمه و دينه و اهل بيته من شر المنافقين.

فوعده الله تعالي ان يعصمه من الناس و لم يعده ان يهدي القوم الکافرين. فقال: ان الله لايهدي القوم الکافرين... فاطمئن بذلک قلب رسول الله ص فاقام عليا عليه السلام و اعلم الناس انه خليفة رسول الله و اميرالمومنين.

فهناک في اخرهذه الايه و ايات اخري مثلها يخبر الله تعالي بانه لايهدي القوم الکافرين. و في ايات اخري يقول: لا يهدي القوم الفاسقين، لايهدي القوم الظالمين، و امثالها.

فيسئل هناک لم لا يهدي الله القوم الکافرين او المنافقين و الفاسقين. فلو هديهم الله تعالي لنجوا عن العذاب الاخره و نجي من شرهم المسلمون و المومنون. فلِم لا يهديهم الله تعالي الي دينه و هو تعالي حريص علي هداية الخلق و انما خلق الناس للهدايه الي دينه. فان کان هداية الکفار ممکنا فلِم لايفعل الله هذا الامر الممکن، و ان کان ممتنعا فکيف يکون عمل من الاعمال ممتنعا بارادة الله تعالي. هو علي کل شيئ قدير؟ فيجاب عن هذه السئوا ل ان الله تعالي خلق الانسان عالما مختارا مريدا و جعله حرا فيما يريد و يختار. ثم هداه بالانبياء الي طريق الحياة و السعاده فبشّرهم بما ينتج لهم الاعمال الصالحه من السعادة و الجنه و حياة الابد ثم انذرهم بما ينتج لهم الاعمال السيئه من الجحيم و العذاب الاليم و طلب منهم ان يطيعوا ربهم و يترکوا هوي انفسهم. فان ترکهم مختارين فيما يريدون من الخير و الشر فهم يختارون الباطل و الکفر و يترکون دين الله وراء ظهورهم، و ان سلب عنهم الاختيار و اجبرهم علي اطاعته يجب عليه ان يسلب عنهم العلم و الاراده فيکونون کامثال الحيوانات و لا يکونون انسانا عارفا بربهم. فعلي هذا يدعهم الله تعالي و يجعلهم عالمين مختارين و هم بعلمهم و اختيارهم يطلبون الکفر و النفاق. فيمتنع هدايتهم و هم في طريق الکفر و النفاق. فيقول: ان الله لايهدي القوم الکافرين يخبر بهذه الايات بانه لا يمکن هداية الکفار بعد ما يختارون طريق الکفر لا انه يکون عملا ممکنا و لايفعل الله تعالي هدايتهم و يضن بجنته و دينه عنهم.

ثم يخبر تعالي في اية الثمانية و الستين عن حال اهل الکتاب فيقول: يا اهل الکتاب لستم علي شيئ حتي تقيموا التوراة و الانجيل و ما انزل اليکم من ربکم... يعني بذلک ان التقرب باسم الانبياء و الائمه و الدين لا ينفع شيئا و لا يکون سببا لنجاة الانسان عن العذاب و دخول الجنه لان دين الله تبارک و تعالي خط التکامل و صراط الي العقل و الايمان و المعرفه و ليس بالفاظ خالية عن المعاني حتي يتکلم الانسان بهذه الالفاظ و يعتقدها و يکتفي بها و يظن انه متدين بدين الله بل الدين کلها حرکة و جهاد لطلب العلم و الايمان. فمن تلفّظ بهذه الاسماء و اعتقد بها و لا يجاهد في طلبهن لم ينتفع بشيئ من دين الله تعالي و لا يقال انه مسلم مومن متدين .فهو مثل ظماًن و جوعان يري الماء و لايشربه و يعرف الغذاء و الطعام و لا ياکله. فهو جائع عطشان و يزيد کل يوم جوعه و عطشه.

فالانسان کالمسافر و الدين طريق الي الله تعالي و الي نعيم الابد و لابد للمسافر ان يکون متحرکا في سفره غير قاعد و لا متوقف يقطع الفلوات و الرساتيق الي مقصده. فهؤلاء النصاري و اليهود اکتفيا في دينهم باسماء خاليه عن المعاني، ذکروا اسم الله و لم يعبدوه، علموا الصلوة و الزکوة و الجهاد و ساير الاحکام و لم يعملوا بها.علموا الحلال و الحرام فاحلوا حرام الله و حرّموا حلاله. اکتفيا باسم بلا مسمي و الفاظ بلا معاني. فقرنهم الله تعالي بالکفار و المنافقين و قال لهم: لستم علي شيئ کما ان الکفار و المنافقين لا يکونون علي شيئ من الايمان و العمل الصالح.

و ذلک لان اليهود اعتقدوا بانهم ابناء الله و احبائه بما انهم من ولد ابراهيم الخليل و ظنوا ان الله تعالي يحبهم بما احب ابراهيم و يدخلهم الجنه بما ادخل ابراهيم. فقالوا ان الجنة و النعيم الاخره کمثل الدنيا و نعيمها يرثه الابناء من ابائهم، صالحين کانوا او غير صالحين. فلما وهب الله تعالي نعيم الاخره و الدنيا لعبده ابراهيم و فضّل بني اسرائيل علي العالمين بما انهم من ولد اسحاق و ابراهيم کذلک يهب الله تعالي الاخرة و الجنة لولدهما، لان ما بيد الاباء من المال و الثروه يرثه ولده في الدنيا و الاخره بزعمهم. فکما ينال الابناء اموال ابيهم بالتوارث في الدنيا کذلک ينالون الجنه و الاخره بالتوارث من ابائهم. فقالوا نحن ابناء الله و احبائه لا نعذب ابدا في الدنيا و الاخره و لا يمنعنا احد من نعيم الجنه. فترکوا الايمان و العلم و الاعمال الصالحه و اذنبوا ما شائوا من الفحشاء و المنکر و الطغيان و ظلم العباد و قالوا لا يعذبنا ربنا في الاخره لاننا من ولد ابراهيم الخليل.

و کذلک قالت النصاري، ظنوا ان نبيهم عيسي ابن مريم ابن الله فيرث الجنه من الله في الاخره و هو يورّث الجنه احبائه و المعتقدين بنبوته و ولايته فرخّصوا لانفسهم ارتکاب الکبائر و الصغائر من الاثم و العدوان و قالوا لا يعذبنا ربنا بذنوبنا لان نبينا يحتمل عنا ذنوبنا و اثامنا و يحمل اوزارنا يوم القيامه فلا يعذب الله تعالي ابنه ابن مريم بل يعف عنهم ذنوبهم و اثامهم صغيرها و کبيرها و يامر بهم الي الجنه. فلا يعذَب احد من النصاري بذنوبه يوم القيامه و ان کان من اکبر الکبائر مثل قتل النفوس و هتک النواميس. فيردّ الله تعالي عليهم في هذه الايه و امثالها اوهامهم و عقائدهم فيقول لستم علي شيئ بما ظننتم انکم من ولد ابراهيم و من امة عيسي الا ان تقيموا التوراة و الانجيل و ما انرل اليکم من ربکم من البشارة بظهور محمد صلی الله علیه و آله و نزول القران. و ذلک لان الدين بمعارفها و فضائلها و احکامها خط الحرکه، يذهب بالانسان من طريق العلوم و المعارف و الاعمال الصالحه الي الجنه و نعيم الابد.فمن توقف في هذه الطريق او حاد عنه يمينا و شمالا ضل ضلالا بعيدا. فلا ينال مقصده، ابن ايّ من کان. ابن وليٍ او نبي او مشرک او منافق. لان الجنه لا ينالها احد بالوراثه مثل المال و الثروه و انما ينالها بالايمان و التقوي و العمل الصالح، کما يقول تعالي: ان اکرمکم عند الله اتقيکم .

ثم يخبر في ذيل هذه الايه بان کثيرا من اليهود و النصاري و امثالهم يزيدون قبال ما انزل اليک من ربک طغيانا و کفرا. فيخبر بانهم لا يدخلون الجنه الا ان يومنوا بهذا الکتاب الذي انزله الله علي رسوله و اخبرهم انبيائهم بنزول هذا الکتاب و ظهور النبي محمد ص. فهم لو أقاموا ما بيّن لهم في کتاب التورات و الانجيل و اقاموا ما انزل اليهم في القران لسلکوا بهذه الاقامه طريق الانبياء و المرسلين و انقلبوا باعمالهم الصالحه ذا علم و عقل و فضيله فدخلوا بهذه الفضائل و الاعمال الجنه و تنعموا بنعم الله تعالي في الدنيا و الاخره. فهم عليرغم ان يکونوا صالحين مومنين زادوا من شدة الحسد علي رسول الله ص کفرا و طغيانا. فلاجرم انهم من اهل النار. لانهم باعمالهم الفاسده و بالکفر و العصيان انقلبوا ناريا بعد ان کانوا في خلقتهم نوريا و في فطرتهم موحدا الاهيا. ان الانسان يخلق مرة ثانيه بالسيئات و الحسنات کما خلق مرة في رحم امه .ان الاعمال السيئه مثل الکفر و الطغيان يجعل الانسان فاسدا ناريا و يظهر بهذه الاعمال عذاب الدنيا و الاخره. فان لکل حسنة و سيئة اثار يخصه و لا يمکن قطع الاثرعن المؤثر. ان الحسنات يجعل الانسان حَسَنا في وجوده و علمه و تربيته فينقلب اهلا للجنه و يجلب بها مودة المومنين، و الاعمال السيئه يجعل الانسان في وجوده و فکره سيّئا يکتسب بها عداوة المومنين و يظهر بها عذاب الدنيا و عذاب الاخره. فلا يمکن للسيّئ من الناس ان يکونوا من اهل الجنه و لا للحسَن من الناس ان يکونوا من اهل النار، کما يقول صاحب المثنوي:

ذره ذره آنچه در ارض و سماست جنس خود را همچو کاه و کهرباست

نوريان مر نوريان را جاذبند ناريان مر ناريان را طالبند

فيخبر الله تعالي في هذه الايه بان اهل الکتاب يزيدون کفراً و نفاقا قبال ما اُنزل اليهم في القران. فکما انّ الحسنات تزيد حسَنا بکثرتها فينقلب الانسان بالحسنات احسن و احسن الي ان بلغ کمال الحسن، کذلک ينقلب الانسان بالسيئات سيئا فيکون اسوء و اسوء الي ان بلغ نهاية السيئات فيکون في اسفل السافلين، کما يقول الله تعالي: ثم رددناه اسفل السافلين...

فان المنحرف عن دين الله يکون کالمنحرف عن الصراط في الفلوات. فکلما مشي و اجتهد في مشيه يزيد بعدا عن الطريق الي ان امتنع عليه ان يرجع الي الطريق ليجدها فيسلکها. فيبعد المنحرفين عن دين الله تعالي في فلوات الجهل و السفاهة عن الحق يوما فيوما الي ان نسوا الحق بکمالها و تمامها و احاطت الخطيئه عليهم فامتنع عليهم الرجوع الي الحق فيکونون في جهلهم خالدين مخلدين ابد الابدين و کذلک مخلدين في عذاب الجهل ابدا. يقول الله تعالي : بلي من کسب سيئة و احاطت به خطيئته فاولئک اصحاب النار هم فيها خالدون... و لذلک يخاطب الرسول ص في اخر الايه يقول: لا تأس علي القوم الکافرين... يعني بذلک لا تغتم لهم غمّاو لا تهتم بهم همّا و لا تاخذک حسرة علي القوم الکافرين.

ثم يکشف الله تعالي لنا في اية التسعة و الستين کشفاً عميقا عجيبا مما به و عليه نجات الانسان، يقول المؤمن و اليهود و النصاري و غيرهم ممن يطلب الدين و لمّا يبلغه فمنهم من امن بالله و اليوم الاخر و عمل صالحاً فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون... فيلغي الله تعالي اکثر العناوين التي يظنها الناس طريقا و ملاکا لدخول الجنه. يسهّل الله تعالي في هذه الايه و نظائرها کيفية النجات من عذاب الاخره. يضع عنهم اکثر الشرائط التي اشترطت الناس شرطا لدخول الجنه و النجات من العذاب. فجعل لهم دينا و ملاکا يسهل علي کل احد من الناس في کل زمان و مکان ان يجعلها ديناً لنفسه و ملاکا لنجاته من المهالک في الدنيا و الاخره. فذکر اهل الايمان و اليهود و النصاري و الصابئين و اشترط عليهم شروطا ثلاثه يمکن لکل احد قبولها. الاول الايمان بالله تعالي. فما اسهل لکل احد الايمان من اي قوم کان و من اي مکان .فان الله تبارک و تعالي جعل الهداية الي نفسه سهلة سمحة يتناوله کل احد بفکره و عقله. فليؤمن به کل انسان في اي مکان و يجعل نفسه دليلا علي الايمان به تعالي. و الشرط الثاني ان يومن باليوم الاخر و هي اخر الحياة الدنيا، يومن کل احد و يقبل بانّ له في عيشه و حياته اول و اخر يظهر محاسن اعماله او قبائحه في اخر حياته. فلينظر کل احد عاقبة امره و ليعمل عملا صالحا. فان الناس کلهم مومنهم و کافرهم يرون و يعلمون بانه لابد من ظهور نتائج الاعمال و رجوعها الي صاحب العمل. فلا تري احدا يعمل العمل و لا يري نتائجه من خير و شر. فيطلب الله تعالي من الناس ان يعملوا عملا صالحا فوعد هؤلاء القوم بهذه الشرائط الثلاثه الجنه و النجاة من النار. فقال: لاخوف عليهم و لا هم يحزنون... فتفکر في هذه الايه هل تريها يثقل علي احد ان يقبله و يعمل به؟

و لعلک تقول ان هذا البيان دليل علي ان نجات المومنين لايکون مشروطا بقبول رسالة الانبياء و لا سيما خاتمهم ص. و کذلک لا يکون النجاة من عذاب الاخره مشروطا بقبول الاسلام و ولاية الرسول و الائمه ع من بعده مع ان الروايات و الايات متواترة متظافره بانه لابد لکل احد ان يشهد بوحدانية الله تعالي و رسالة الرسول و ولاية الائمه المعصومين ع. فنري الله تعالي شرط قبول التوبة باستغفاره و استغفار الرسول ص له فقال: و لو انهم جاؤک فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما... و قال في اية اخري: قل ان کنتم تحبون الله فاتبعوني يحببکم الله... و قال: من اطاع الرسول فقد اطاع الله... و قال: و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الاخرة من الخاسرين... فما اکثر الايات و الروايات بانّ شرط النجات في الاخره و دخول الجنه انما هي الاسلام و ولاية علي امير المومنين.فيجب علي اليهود و النصاري و الصابئين ان يومنوا بالله و رسوله و الائمه المعصومين ع ليکونوا من اهل النجات.

فيجيبک عليهذا بان هذه الاصول الثلاثه لنجات الانسان عن المهالک بمنزلة البذر ينبت في قلب الانسان يکثر و يثمر. فيسع دائرته الي الاعتقاد بالانبياء و الاولياء کلهم و قبول الواجبات و المستحبات و المکروهات کلها، و ينتهي ذلک الي قبول القران و الاسلام و اولياء الله بتمامها و کمالها. فلا يمکن لمن امن بالله ان يدع وصفا و علما يسلک به الي معرفة الله تعالي. فمن امن بالله تعالي يطلب معرفته لايتوقف في طلب المعرفه ليقدّر الله تعالي بالقياس علي ساير المخلوقات و من طلب معرفة الله الذي امن به يسلک بهذه الطلب الي معرفة الانبياء و الاولياء، لاسيما خاتمهم ص. فان معرفة الله تعالي لايوجد الا في مکتب الانبياء و لاسيما مکتبة الاسلام. فينتهي ذلک الي الاعتقاد بالنبيين کلهم و کذلک من امن بالاخره يطلب في ايمانه ما يجب له في الحياة الاخره. فيسلک به هذه الطلب الي ما يجب الله تعالي له في الاخره و ما يبغضه له. فينتهي ذلک الي درک المحرمات و المکروهات و الواجبات و المستحبات و لا يوجد هذه العلوم الا في مکتب الانبياء. فيتعلم ما جاء به الاسلام ليعرف الاعمال الصالحه فيعمل عملا صالحا. فهذه الاصول الثلاثه هي العوامل الاولي التي تجر الانسان الي معرفة الله تعالي و معرفة الانبياء و الاعتقاد بهم و معرفة الاحکام من الحلال و الحرام.

فمن وجد في قلبه هذه الاصول و قام ليطلب علما و معرفة فقد هاجر الي الله تعالي. فلو مات علي هذه الاصول قبل الوصول الي المعارف، مات في طريق الهجرة الي الله تعالي فوقع اجره علي الله علي ما وعد الله تعالي في کتابه حيث يقول: و من يهاجر فی سبيل الله يجد مراغما کثيرا و سعه و من يخرج من بيته مهاجرا الی الله و رسوله ثم يدرکه الموت فقد وقع اجره علي الله و کان الله غفورا رحيما( نساء 100 ). فهذه الاصول ملاک نجات الانسان و ملاک الطلب و التعلم. فمن لم يومن بالله و اليوم الاخر لا يسلک سبيلا الي ربه و لا يطلب عملا صالحا او غير صالح بل الحق و الباطل عنده علي حد سواء.

ثم يذکر الله تعالي في اية السبعين نبذة مما عليه بنو اسرائيل و يذکر هذه الصفات للمسلمين ليعتبروا بها و لم يکونوا کمثلهم، يکفرون کما کفروا و يهلکون کما هلکوا. و انما يذکر الله تعالي هذه القصص مما وقع في حياة الانسان ليعتبر بها اولوا الالباب کما يقول: لقد کان في قصصهم لعبرة لاولي الالباب( يوسف111 )و يقول مولانا علي ع : ما اکثر العبر و اقل الاعتبار... فيقول تعالي: لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل و ارسلنا اليهم رسلا... و هذه الميثاق ما ياخذه الانبياء عن البشر علي طبق فطرتهم .فان الانسان في خلقته و جبلّته مفطور علي الاعتراف بعظمة الله و الاعتقاد باطاعته بحيث ان لو سئلت عن کل انسان من الذي خلقک و خلق السماوات و الارض و من الذي يجب عليک اطاعته يجيبک ان الله هو الذي خلقهن. فيجب علي الانسان اطاعته. و الانبياء مامورون في رسالتهم ان ياخذوا الناس علي ميثاق فطرتهم. ففعلوا ذلک و اخذ کل رسول ميثاق امته علي اطاعة الله تعالي. ثم يخبر بان بني اسرائيل خالفوا الانبياء و قتلوهم علي هوي انفسهم. فيقول: کلما جاءهم رسول بما لا تهوي انفسهم فريقا کذبوا و فريقا يقتلون...

ثم يذکر في اية الاحدي و السبعين ما عُرض علي بني اسرائيل من العمي و الصّمُ و الجهاله و قال: و حسبوا ان لاتکون فتنة فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صموا کثير منهم و الله بصير بما يعملون... يعني بذلک ان بني اسرائيل ظنوا اذا خالفوا ربهم و قتلوا انبيائهم لم يفتتنوا بفتنة تعمي بها ابصارهم و تصم بها اذانهم و تجهل بها قلوبهم. فان بني اسرائيل و کل انسان مثلهم اذا رجعوا عن الحق و خالفوا دين الله يفتتنون بتلک الرجوع بکل فتنة، و معني الفتنه( الغرور )يترجم بالفارسي(گول خوردن ). فکما ان العالم المومن يعلم يقينا بانه علي بينه من الله سالک طريق الجنه و النجات کذلک يعلم الکافر يقينا بانه کمثل المومن سالک طريق النجات و السعاده مع انه مفتون بالفتن و جاهل في علمه و يقينه. فان الجهل کمثل العلم ذو درجات و درکات.فاضعف مراتب الجهل ان لاتعلم شيئا و لا تعرفه و لا تعلم بانک جاهل بهذا الشيئ. و احسن مراتب الجهل الذي يقربک من النجات و من العلم ان تعلم انک جاهل بهذا الشيئ و يجب عليک ان تعلمها و تعرفها. ثم من اشد مراتبها التي يهلکک و يجرک الي النار ان تکون جاهلا بشيئ فتظن نفسک عالما بها کمثل من يکون عميانا و يظن انه بصير فيسرع بمشيه فيسقط و يهلک. يصف الله تعالي في هذه الايه حال من اعرض عن الحق و افتتن بالدنيا فيعمي و يظن نفسه بصيرا و يصم و يظن نفسه سميعا و يجهل و يظن نفسه عالما، يقول الله تعالي: قل هل ننبئکم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و يحسبون انهم يحسنون صنعا...کهف103-104 ) فهناک نذکر لک کيفية ظهور العمي و الصمم بالافتتان.

فيسئل هناک کيف يعمي الانسان او يصم و هو بصير ذو عين سالم و سميع ذو اذن سالم.، هل يمکن للبصير ان يکون عميانا او للسميع ان يکون صماً بکما؟ يفسر الله تعالي هذه الايه بايات اخري في کتابه يقول: فانها لا تعمي الابصار ولکن تعمي القلوب التي في الصدور( حج-46 ).

و في اية اخري يقول: لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها و لهم قلوب لا يفقهون بها اولئک کالانعام بل هم اضل...

فان الله تعالي خلق الحيوان ذو عين و اذن واحده و خلق الانسان ذو عينين و اذنين. عين بها يري الشيئ بموجوديته و عين اخري يري بها الاشياء بحقانيته و مسئوليته. فالحيوان اذا راي طعمة يريها بانها طعمة لذيذه ياکلها و لا يري انها لمن و ممن، يکون له حراما او حلالا. فياکلها ثم ياخذها مالک الطعمه فيقتلها ولکن الانسان اذا راي طعمة بعينه يقدر ان يريها بحليّته و حرمته فينقلب مسئولا بالامانه غير الخيانه. فيري الطعمة بعين في راسه و الحلية بعين في قلبه. فاذا خالف امر ربه و خرج عن اطاعة مولاه افتتن بما يري بعينه في راسه و يعمي بما يري بعينه في قلبه. فيشبّه الله تعالی هؤلاء الکفار بالانعام، تعمي قلوبهم في صدورهم و تبصر اعينهم في رؤؤسهم. ثم يذکر الله تعالي في هذه الايه تکرار العمي و الصمم.

فيذکر انه تعالي بعد ما عمت و صمت الکفار في بدو حياتهم لا يدعهم في تلک العمي و الصمم بل يرأف بهم و يرحمهم، يتوب عليهم فيُبصّرهم مرة ثانيه حتي يدرکوا عظمة الله بقلبهم و يحسوا المسئوليات في اعمالهم. فيعرفوا حق الله تعالي عليهم و حقهم علي الله. کذلک يعرفوا حق الناس عليهم و حقهم علي الناس فيعبدوا ربهم و يراعوا حقوق اخوانهم فلا يظلموا احدا و لا يتجاوزوا بحق احد، فيکونوا صالحين مصلحين من اهل الجنه. ولکنهم بعد هذا التذکار و التوفيق يحرصون علي الطعمه و اللقمه في دنياهم و يجعلون الدنيا اکبر همهم و مبلغ علمهم فيعمون و يصمّون مرة اخري يکفرون بربهم و يظلمون عباد الله تعالي الي ان ماتوا کافرين منافقين. لان الانسان اذا لم يهتم بامر دينه و اطاعة مولاه و حرص علي الدنيا، تحجبه طعمة الدنيا عن الحق و العداله فيعمي و يظلم عباد الله المومنين. اعاذنا الله من هذه العمي. يقول الشاعر:

چشم باز و گوش باز و اين عمي حيرتم از چشم بندي خدا...

ثم يعارض المسيحيين في اية الاثنين و السبعين علي ما اعتقدوا في نبيهم و تجاوزوا عن حد يجب ان يقفوا بها في عقائدهم. فقال: لقد کفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم و قال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا ربي و ربکم...فانهم لما راووا المعجزات من نبيهم بما وُلد من امه بغير اب و بما کلم الناس في المهد و بما اتي بالمعجزات البينه من ابراء الاکمه و الابرص و احياء الموتي، ظنوا ان المسيح هو الله فاعتقدوا بانه الله او ابن الله فخرجوا بتفکراتهم هذا عن حدود العقل و المعرفه، نزّلوا الله تعالي الي ان جعلوه في حد الانسان و الاجسام او رفعوا بالانسان حتي جعلوه في مقام الالوهيه و لم يعلموا ان کل شيئ او شخص يقف في حده المخصوص به لا يتنزل عن حده و لا يترفع عن حده. فلله تبارک و تعالي جنسية لا يشابه شيئا من الاشياء و لا خلقا من الخلايق باجناسها و وجودها.

کذلک للانسان جنسية مادية او روحية لايترفع بجنسيته ان يکون في جنسية الله و موجوديته. و لم يعلموا ان الانبياء و منهم المسيح ع بشر مخلوق من اللحم و العظم و الروح و النفس و ساير الاملاح و المواد الذي خلق منها و ترکب بها و هو عبد يجري بيده صنع الله تعالي و علي لسانه علم الله تعالي و في قلبه حکمته. فالانبياء اسباب و ابزار يتسبب الله تعالي بهم لنشر العلم و الحکمه و ليست السبب مثل المسبب. فالله تعالي في الوهيته منزه عن مشابهة المخلوقات و کذلک خلقه في جنسيتهم و ماديتهم لا يجانسون و لا يشابهون ربهم.

فجعل الله تبارک وتعالي اعتقادهم هذا الخارجه عن حد العقل و العلم، شرکا بالله تعالي و قال: من يشرک بالله فقد حرم الله عليه الجنه و ماويه النار و ما للظالمين من انصار...

فان الشرک بالله العظيم علي اقسام يمتاز بعضها عن بعض. الاولي شرک بمعني ان تجعل الانسان الاها و تعتقد بانه الله الذي خلق السماوات و الارض فتعبده بما يجب ان تعبد الله به و تنتظر و ترجو منه ما يجب ان ترجوه من الله .فتطلب منه قبول التوبه و العفو عن السيئات و غفران الذنوب و قبول الصدقات و ساير ما تکون بيد الله تعالي من خلق الارزاق و شفاء الامراض و نزول الامطار.فمن جعل خلقا من خلق الله ملکا کان او بشرا او جمادا او غير ذلک مقام الله تعالي و ظن او اعتقد بان هذا الخلق هو الله و هو الخالق فقد اشرک بالله و جعل الخلق شريکا لله تعالي في ربوبيته و الوهيته. هذا هو الشرک العظيم الذي يذکر الله تعالي في کتابه يقول: ان الله لا يغفر ان يُشرک به و يغفر ما دون ذلک و من يشرک بالله فقد افتري اثما عظيما.

و القسم الثاني ان تجعل لله تعالي ابناً و تجعل بينه و بين خلقه نسباً کَاَن تجعل له ابنا و صاحبة. و من اقسام الشرک ان تعظم الخلق بما تعظّم الله تعالي و ترجو من الخلق ما يجب عليک ان ترجوه من الله تعالي.

و الدليل علي انه تعالي لا يغفر ان يشرک به ان المشرک محي ذکر الله عن قلبه، نسي و جهل ربه العظيم فيعيش کمن لا رب له و لا خالق. فان اصابه نفع يظن انّ معبوده هو الذي نَفَعه، و ان اصابه ضرّ او شرّ يظن انّ معبوده هوالذي اضره و اصابه بالمصائب. فهو جعل الخير و الشر کلها بيد المعبود الذي يعبده و جعل معبوده مبدئا لکل خير او شر يصيبه. فان اصابه مصيبة خضع لمعبوده، تاب اليه و سجده و ان اصابه نفع حمد معبوده الذي يعبده، مع ان الخير کله بيد الله تعالي. فجهل ربه العظيم و ظن معبوده الاها ينفعه و يضره. فکيف يمکن ان يفيض الله تعالي علي هذا الانسان خيرا، يغفره و يعلّمه و يرزقه و غير ذلک من المنافع و هو يجعل کل تلک الخيرات بيد معبوده لا بيد الله الذي خلقه. فجعل معبوده سدا و حجابا بينه و بين ربه، لا يمکنه ان يستفيض من الله و لا يمکن لله ان يفيض اليه فيضاً من العلم و المغفره، فيترک في خلاء مطلق و عدم ممتنع.

ثم يعرّض الله تبارک و تعالي في اية الثلاثه و السبعين امة المسيح فيما قالوا و اعتقدوا في الله تعالي فقال: لقد کفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه و ما من الاه الا الاه واحد... فان المسيحيين في عقايدهم بالله العظيم علي ثلاثة اقسام کلهم يعتقدون و يعبدون مخلوقا او موهوما يظنونه الاها. فقوم منهم يقولون ان الله هو المسيح ابن مريم، فيعبدونه و ينتظرون منه ما يجب ان ينتظروا و يرجوا من الله تعالي. فکفروا بالله العظيم لان المسيح ليس بالاه و ما هو الّا انسان مخلوق من التراب ايّده الله بروح القدس. فلا فرق بينه و بين ساير البشر من حيث البشريه و الانسانيه.

و قوم اخري منهم يقولون ان المسيح ابن الله و الله تعالي ابوه. فخرقوا لله تعالي صاحبة و زوجة فظنوا ان الله تعالي کمثل الانسان يتزوّج و يلد. فهؤلاء ايضا کفروا بالله العظيم لان الله تعالي ليس من جنس البشر تکون له صاحبة و ولد. فهم ايضاً بعقائدهم هذا عبدوا المخلوق و ظنوه الاهاً.

و القسم الثالث هم الذين اعتقدوا بثلاثة يخلق العالم و العالمين. کل هذه الثلاثه الاه بزعمهم. يقولون ان هذه الثلاثه واحد في ثلاثتهم و ثلاثة في وحدانيتهم. يقولون منکرا من القول و زورا. فان الله تعالي واحد من بلا عدد و لا يکون من جنس الاعداد يُعدّ و يحصي و يشار اليه. فهو واحد غير متناه في ذاته و وحدانيته محيط بکل ما في العالمين.

و يقول تعالي في ذيل الايتين: ان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين کفروا منهم عذاب اليم. فيقسّم المسيحيين في هذه الايه علي طبق عقائدهم قسمين. قسم منهم کافر و قسم اخري غير کافر. فان کانت المسيحية کلهم بعقائدهم هذا کافرين لم يقل ان العذاب الاليم تمس الکافرين منهم بل يجب ان يقول تمس العذاب المسيحيين المعتقدين بهذا العقائد. و يمکن ان يقسّم المسيحيون علي طبق عقائدهم عالما او جاهلا علي ثلاثة اقسام. قسم منهم و هم اقل عددا يکونوا مومنين معتقدين بالله العظيم. فهم في عقائدهم بالله تعالي کساير المومنين من المسلمين، ينزّهون الله تعالي عن مشابهة المخلوقات و يقولون بان عيسي ابن مريم کساير افراد البشر من بني نوعه الا انه ايّده الله تعالي بروح القدس و جعله نبيا. فهم يومنون بالله العظيم و بالاخره و يعملون عملا صالحاً و يحبّون نبي الاسلام و کل نبي و لا يتظاهرون بايمانهم خوفا من المسيحيين. فهم اهل الجنه کساير المومنين من المسلمين. و قسم اخري منهم يکفرون بالله العظيم عالما عامدا، يعتقدون بهذه العقائد و يعلمون بانها بدعه. لم يقله المسيح و لا نبي من انبياء الله الاّ انهم يضلون الناس بکفرهم ليخرجونهم من اطاعة الله الي اطاعتهم. فهم کافرون قطعاًکساير الکفار، يدخلون نار جهنم. و القسم الثالث و هم اکثر المسيحيين، مستضعفون لايعرفون الحق و الباطل، يعتقدون بالله و لا يعرفونه و يعملون عملا صالحا برجاء العفو و الثواب. فلو عرفوا الکفر و الايمان بحقيقتهما اتخذوا طريق المومنين الا انهم ضعفوا بفلة عقلهم و ظنوا اَنما يقولون علمائهم حق. فاولئک من المستضعفين، عسي الله تعالي ان يعفو عنهم يوم القيامه کما يعدهم العفو في کتابه.

ثم يقول و ينبّه المسيحيين الکافرين و المستضعفين: أفلا يتوبون الي الله و يستغفرونه و الله غفور رحيم.. فيفرّق في هذه الايه بين التوبة و الاستغفار. ثم يعدهم قبال الاستغفار الغفران و قبال التوبة الرحمه. يقدّم الله تعالي التوبة علي الاستغفار يقول: أفلا يتوبون الي الله... فالتوبة هي حالة و معرفة يدرک العاصي عصيانه و يدرک مرض قلبه بالعصيان ثم يعلم ان العصيان من الامراض المهلکه التي يجرّ العاصي الي نار جهنم. فيطلب طبيباً يعالج مرض قلبه. ثم يعلم بانه لا يقدر احد علي علاج هذا المرض الا الله تعالي. فيتوب و يلجأ اليه فيغشاه الله تعالي برحمته، يرقّق قلبه بتلک الرحمه فيبکي و يجري دموعه علي خدّّيه، يسئل الله تعالي علاج مرض الکفر و النفاق التي نشأ ت منه العصيان فيعالجه الله تعالي بلطفه و کرمه. ثم يدرک الانسان بعد التوبه و علاج مرض قلبه نواقص عقله و استعداده و ايمانه التي ينشأ منه الذنوب بقصوره لا بتقصيره. فيستغفر الله تعالي يسئله رفع هذه النقائص. يسئله ان يؤيّده بالعلم و الحکمه و روح الايمان و يوفّقه لاطاعته. فيعده الله تعالي قبال هذا الاستغفار غفران ذنبه يقول: و الله غفور رحيم. فان الغفران من قبل الله تعالي هو التوفيق للطاعه و شدة روح الايمان ليسهل عليه ما کان يصعب عليه قبل ذلک. فالتوبة بمعني الرجوع الي الله لعلاج مرض العصيان و الاستغفار بمعني الاستعانه بالله تعالي لتقوية روح الايمان .

ثم يذکر الله تعالي في اية الخمسة و السبعين ما يجب علي الناس ان يقولوا و يعتقدوا بما کان عليه المسيح ابن مريم. فقال: ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل...

فيخبرهم بان المسيح بشر کساير الناس من بني ادم و ليس مخلوقا فوق البشر من جنس الارواح و الملائکه و لا دونهم من الانعام و ساير الاجناس، بل هو انسان ابن انسان خلقه الله تعالي بلا اب کما خلق ادم بلا اب و ام. فان الله تعالي في خلق الانسان لا يحتاج الي وجود اب و ام بحيث ان کانا خُلق الانسان و اِن لم يکونا لم يخلق. بل هو تعالي قدّر في حکمته ان يخلق الانسان في رحم امه کما يخلق النباتات و الاشجار في بطن التراب. فليس رحم الام اکثر شرائطاً لخلق الانسان من بطن التراب و انما خلق الانسان في بطن امه بابيه ليکونا قيّمين کفيلين محافظين لوجود الطفل بما يرون ان الطفل منهما، نشأت من لحمهما و دمهما. و لو لا هذه التقدير في حکمة الله تعالي ان يجعل للطفل ولياً و کفيلا لخلق الانسان في بطن الارض کما خلق ادم و حوا و خلق النباتات و الاشجار علي وجه الارض. فلا يجوز للناس ان يجعلوا المسيح ابن مريم فوق الانسان من جنس الملائکه او من جنس وجود الله سبحانه و تعالي، فيظنون انه غير انسان نزل في العالم لهداية عباد الله. فقال تعالي انه رسول قد خلت من قبله الرسل و امه امرأة کساير النساء الا انه صديقة عابده لله تبارک و تعالي. ثم يوضح للناس صراحة انهما کانا من جنس البشر بقوله: کانا ياکلان الطعام...فيحتاجان الي ما يحتاج اليه ساير الناس من دفعها و تطهير انفسهما. فيقول.. انظر کيف نبين لهم الايات.. و نصرّح لهم بشرية عيسي و امه ع، ثم انظر الي اهل البدعه و قياس الراي اني يؤفکون. فيقولون في عيسي و امه ما لا يناسب شان البشريه، يخرجونهما ان يکونا مثل ساير الناس.

ثم يوبّخهم علي انهم يعبدون من دون الله ما لا يملک لهم ضراً و لا نفعا... فان المعبود يجب ان يکون مالکاً للانسان قادرا علي ان ينفعه او يضره او يميته و يحييه. ان المعبود يملک عباده بکل ما لهم و عليهم من المنافع و المضارّ لان العبد مملوک و الله تعالي مالک له. فمن شدة سفاهة الانسان و حماقته ان يعبد شيئا اضعف منه و يملّکه کما کانوا يعبدون الاصنام، يصنعون بايديهم فيعبدونهم. و هکذا يعبدون امثالهم من البشر و يعلمون انه مثلهم محتاج الي رب يخلقه و يرزقه. فهذا من کثرة الحماقه و قلة العقل ان يدع الانسان الاهه و يعبد غيره من المخلوقين. ان المسيحيين جعلوا ما بيد الله تعالي و ما هي شانه بيد انسان مثلهم. جعلوا قبول الصدقات و العبادات و قبول التوبة و ادخال الجنه او النار کلها بيد انسان مثلهم و هو المسيح ابن مريم. ثم جعلوا هذه الامور بعد نبيهم بيد من يقوم مقامه من علمائهم فقالوا نعصي ربنا، نکذب و نظلم الناس فيقبل توبتنا علمائنا او نبينا عيسي ابن مريم. فيتوبون الي علمائهم قبل ان يتوبوا الي ربهم تاخذوا منهم علمائهم جرائم علي مقدار عصيانهم ثم يجعلونهم مختارا في العصيان و ترک الطاعه فما احب لهم انسان يعصی و يشتری منهم التوبه، مع ان هذه الامور کلها بيد الله تعالي. هو الذي يقبل التوبة عن عباده و ياخذ الصدقات منهم و هو الذي يعف عنهم او يعذبهم و هو الذي يدخل الجنة من يستحقها. کذلک يدخل النار من يستحقها.فجعلوا الامور التي يکون کلها بيد الله تعالي علي يد انسان مثلهم، فعبدوه دون الله. فخاطبهم الله تعالي في هذه الايه بقوله: أتعبدون من دون الله ما لا يملک لکم نفعا و لا ضرا.

ثم يخاطبهم في اية السبعة و السبعين علي انهم عبدوا علمائهم و نبيهم دون الله تعالي و جعلوا ما هي شانه تعالي بيد الانسان. فقال لهم: يا اهل الکتاب لا تغلوا في دينکم غير الحق و لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل و اضلوا کثيرا و ضلوا عن سواء السبيل.

فنهاهم في هذه الايه عن الغلو و عن الاخراج عن حد ما يجب عليهم ان يعتقدوا في حق ربهم و حق نبيهم. فان الغلو بمعني الاخراج عن حد الاعتدال في العقايد، ان تخرج بشرا عن حد البشرية الي حد الربوبيه او تخرج الله تعالي عن حد الالوهيه الي حد البشريه، او ان تجعل من لم يکن نبيا او وليا في حد الولاية و النبوه او تجعل من کان نبيا و وليا في حد من دونهم. فيجب علي الانسان ان يعرف کل شيئ و شخص حق معرفته و يجعل کل شخص مقام ما يناسبه بلا زيادة و نقصان. فلو جعلت الالاه في حد المخلوق خرجت عن علمک و عقيدتک الي حد التفريط بمعني التقصير. فانت مقصر في حق ربک ان تصفه کما تصف خلقه من انسان و غيره. ثم لو جعلت الانسان او خلقا اخري من الخلايق کالملائکه و الروح مقام ربک خرجت عن علمک و عقيدتک الي حد الافراط. فانت في عقيدتک مثل هذا غال، ينهيک الله تعالي عن ذلک بقوله: لا تغلوا في دينکم...

ثم يخبر تعالي في اية الثمانيه و السبعين بان بني اسرائيل انقلبوا في دينهم علي قسمين، کافر و مومن. فقال: لعن الذين کفروا من بني اسرائيل علي لسان داوود و عيسي ابن مريم... فکان بنو اسرائيل امة واحده بعد ابيهم يعقوب ع الي زمان ظهور موسي ع في اربع مأة سنه الي ان جعلهم فرعون و القبطيون ارّقاء اسراء و تسلطوا عليهم، يسومونهم سوء العذاب يذبّحون ابنائهم و يستحيون نسائهم فداموا في هذه الاسارة و العذاب حتي قام فيهم موسي ابن عمران ع فنجّيهم من هذا العذاب الاليم و جاء بهم الي کنعان و فلسطين ملک ابيهم ابراهيم و اسحاق و يعقوب. کذلک کانوا في دعوة موسي ع ملة واحده، امنوا به و استخلصوا بايمانهم عن الاساره و الرقيه و اتيهم الله تعالي الملک. فکانوا احراراً اقوياء في دينهم و ملکهم يغلبون علي الملوک في نواحيهم و لا يغلب عليهم احد من الملوک. فکان الله تعالي يبعث لهم من بطن بعضهم ملکا و من بطن بعضهم نبيا. کانت الملوک في اطاعة الانبياء و هم في اطاعة ملوکهم و انبيائهم امنين متمتعين، الي ان خالفوا انبيائهم قتلوا بعضهم و نبذوا دينهم و کتاب ربهم وراء ظهورهم. فانقلبوا قسمين کافرين و مومنين. فکانوا يقتلون النبيين و المومنين معهم و کان شدة عداوتهم بداوود و سليمان، و شدّوا العداوة علي عيسي ابن مريم و ابدعوا في دينهم ما شائوا من الاکاذيب و البدع و الخرافات. بدّلوا احکام التورات و حرّفوا ايات الله و اتهموا مريم ابنت عمران بعد ما راوا منها و من ابنها الايات و المعجزات الکثيره. فلعنهم الله تعالي بلسان الانبياء فانقلبوا کافرين في جهنم خالدين. يقول الله تعالي کان ذلک اللعن بما عصوا و کانوا يعتدون. فاخبر الله تعالي عنهم بالعصيان و الاعتداء و هما ملاک کفرهم و خلودهم في النار.

ثم يخبر عنهم بانهم: کانوا لا يتناهون عن منکر فعلوه لبئس ما کانوا يفعلون. فاخبر بان ملاک الکفر شيئان، العصيان بالتکرار و الاصرار و الاعتداء بما يصول قويهم علي ضعيفهم کالسباع الضاريات تغتنم اکلهم .و هذا دأ ب الکافرين المتجاوزين. فيدوم حياتهم في حالتين حالة فيها يعصون ربهم بهتک النواميس و حالة اخري في اعتداء. فالاعتداء هو التجاوز بحقوق الضعفاء. فمن اصبح منهم غنيا يصول و يعتدي علي ضعيف في جواره، يسلب عنه ماله و يهتک عرضه ثم يقتله بغصب امواله. و لا يمکن للکافر ان يدع الظلم و التجاوز لان الکافر هو الذي ينکر المعاد و الحساب و ينکر الله تعالي و عدالته و يظن ان العالم و العالمين خُلقوا بلا خالق و صُنعوا بلاصانع، کما يحکي الله عنهم بقوله: ما خلقنا السماوات و الارض و ما بينهما لاعبين ذلک ظن الذين کفروا... فالکفار يظنون ان السماوات و الارض خُلقتا للعبهم، يلعبون بالاموال و النفوس و النواميس و ساير الحقوق و يظنون ان المقصد في خلق العالم و خلق انفسهم ان ياکلوا ما يشائون ان ياکلون و يتمتعوا بما يشائون ان يتمتعون. و يظنون ان من لم ياکل و لم يظلم فقد خالف سنة الطبيعه، و يسمون حالتهم هذا يعني الظلم و التجاوز، بتنازع البقاء. يقولون في دينهم و تفکرهم بان من قوي حق له ان ياکل الضعيف و انّ الضعفاء يجب عليهم ان تکون اُکلة للاقوياء و لعبة للعبهم، تصنع بهم ما يشائون. و يقولون انه لا رب و لا حساب و لا جنة و لا نار. انما هي الحياة الدنيا نموت و نحيي. فان اکلنا و نِلنا بمرادنا من الشهوه و الطعمه من اي طريق کان فقد ظفرنا بمرادنا و ان لم ناکل و لم نظلم و صرنا ضعفاء فقد خسِرنا خسارة عظيما. فبنوا حياتهم علي تنازع البقاء، ياکل القوي الضعيف. کالسباع الضاريات في الجبال و الفلوات. و اما الثاني العصيان.

العصيان بمعني اطاعة الانسان هوي نفسه و شهوته بلا مدافع و منازع. فان الانسان في خلقته و هوي نفسه يطلب کل شيئ و شخص في العالم و العالمين. فلو تُرک الانسان بحاله و لا يمنعه مانع في طلباته و حرکاته، يجمع کل شيئ و شخص في العالم، يدّخرها لنفسه، ياکل و يشرب و يفعل بهم ما يشاء. کاَنّ العالم و العالمين خُلقتا له يفعل بهم ما يريد. فالعصيان بمعني الحرکة في طلب شيئ و شخص بهوي نفسه علي خلاف رضي ربه. فمن شرب ماءً او طعم غذاءً او نکح نساءً بلا اذن من ربه بهوي نفسه فقد عصي ربه. فالکافر يتّبع هوي نفسه اذا راي طعمة و اکلة و ماءً و غذاء. يطلبها و ياکلها و لا يري لاحد حقا علي الاموال و النفوس. فلا يملک احدٌ من الذکر و الانثي نفسه قبال هذا العاصي. لا يطلب شيئا الا و يسخط بهذا الطلب ربه و يظلم بهذا الطلب عباد الله. فهو عاص و متجاوز في جميع حرکاته و سکناته لا يميز بين الحلال و الحرام و بين الحق و الباطل. کانّ الاموال و النفوس خلقت له،يتصرف فيها ما يشاء. فالکافر اذا تُرک بحاله يکون دائما في احدي هذين الحاکمَين، في شهوة و عصيان و حرص و طمع او في اعتداء و تجاوز بحق الناس.

ثم يصف الله تعالي ما کانت عليه اهل الکتاب قبل ظهور الاسلام يقول: کانوا لا يتناهون عن منکر فعلوه لبئس ما کانوا يفعلون. فيخبر عن حالتين کانت اهل الکتاب فيهما. الحالة الاولي اصرارهم علي ارتکاب المنکرات و تکرار المعاصي الکبيره کمثل الزنا و السرقه و غيرها و الحالة الثانيه خروجهم عن ولاية الله و دخولهم في ولاية الکافرين. فان اهل الکتاب ما داموا في ولاية نبيهم يعملون الصالحات باجراء احکام التورات و الانجيل لا يمکن لهم ارتکاب الکبائر من المعاصي و الاصرار علي الصغائر و کذلک لا يؤذن لهم ان يدخلوا في ولاية الکفار و المشرکين.فيرحمهم الله تعالي وهم في ولاية الله وفي ولاية اولياء الله. لکنهم بعد ما تنعموا بنعم الله تعالي ظهرت فيهم حالة التجاوز و العصيان فخرجوا عن ولاية الله و ولاية اوليائه ليکونوا قادرين مختارين علي الکفر و العصيان. فهم کما يقول الله تعالي في اية اخري: قرية امنة ياتيها رزقها رغداً فکفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف... و لذلک يقول الله تعالي في اخر هذين الايتين: لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون.

ثم يخبر الله تعالي في اية الاحدي و الثمانين انهم لو کانوا يومنون بالله و النبي و ما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء... فيخبر في هذه الايه بان اکبر الکبائر التي ينتهي بالانسان الي الکفر و الخلود في نار جهنم هي خروج الانسان عن ولاية الله تعالي و ولاية اوليائه و الدخول في ولاية الکافرين. فان المعاصي مختلفة بعضها بالنسبة الي بعض اخري و لذلک سمّوها بالصغائر و الکبائر. فالمعاصي الصغيره مقدمات الکبائر.مثلا سرقة اموال الناس کبيره و قتل نفس محرمة کبيره ولكن النية للسرقه والحرکة اليها او التفکر في کيفية السرقه و امثالها من المقدمات صغيره. فالصغائر کلها مقدمات الکبائر. يقول الله تعالي يخبر انه يعف عن الصغائر ما داموا اجتنبوا عن الکبائر: ان تجتنبوا کبائر ما تنهون عنه نکفر عنکم سيئاتکم... يعني ان ترکتم الکبائر يُعفي عنکم الصغائر. لان مقدمات العصيان حرمه الله اوکرّهه لئلا يقعوا في العصيان.فيقول لاتنظروا الي امرأة غير محرم و لا تعاودوا النظر اليها لئلا يقعوا في الکبيره و هي الزنا. و في هذه الايه يقول من اکبر الکبائر الخروج عن ولاية اولياء الله و الدخول في ولاية اعداء الله. فالانسان بهذا الخروج و الدخول يتحول من الايمان الي الکفر و من الکفر الي الشرک و من الشرک الي النفاق .فمادام الانسان في ولاية اولياء الله لايهتم کثيراً علي العصيان لان الاعتقاد بولاية نبي او ولي يمنعه عن المعاصي ولکن لو خرج عن ولاية الله و دخل في ولاية الکفار يسهل عليه ارتکاب المعاصي و يثقل عليه اطاعة الله تعالي.

ثم يذکر بعد هذه الايه مثالا لمن خرج عن ولاية اولياء الله و دخل في ولاية اعداء الله و هم اليهود. يذکر للمسلمين شدة عداوتهم يقول: لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود و الذين اشرکوا... فيرادف اليهود و المشرکين مع ان اليهود قوم لهم دين و کتاب و نبي من قبل الله تبارک و تعالي. فلا يجوز لاهل الکتاب و لامة نبي مثل موسي و انبياء بني اسرائيل عليهم السلام ان يتساووا المشرکين في الکفر و الشرک. فلو بقيت في قلوبهم مسحة اعتقاد و محبة بالله و نبيه او تعلموا من کتاب الله لفظة کلام و نکتة بيان لکانوا خرجوا بهذه اللفظه و النکتة في کتاب الله تعالي عن حد الشرک و الکفر و قرّبوا من اهل الايمان و التقوي من اولياء الله، فلم يکونوا من اعداء الله و اوليائه ولکنهم تخلت قلوبهم من الايمان و الاعتقاد و المحبه بالله و نبيه و انقلبوا کافرين بعد ان کانوا مومنين و ما بقي في قلوبهم شيئ يسير صغير من الايمان. ثم انقلبوا بعد کفرهم مشرکين، فاشتدت عداوتهم لله و رسوله و المومنين. و لذلک وصفهم الله تعالي بشدة العداوة و هذه الشده من عداوتهم للمومنين دليل علي انهم خرجوا من الايمان طراً الي حد الشرک و العداوة کاملا. فغضب الله عليهم و وصفهم في سورة الحمد بالمغضوبين عليهم.

و هذه الشده من عداوتهم لاهل الايمان انما ينشأ من شرکهم بالله و رسوله و ذلک لان المشرک اتخذ الدنيا و ما به بقائه و حياته فيها من الاموال و الثروه ربا و الاها. فهو يظن ان حياته و بقائه في الحياة الدنيا بالمال و القدره بحيث لو فقدهما هلک و مات علي وجه الارض. فهذا المشرک المنغمر في حب الدنيا کما يصفه الله تعالي في سورة الهمزه: الذي جمع مالا و عدده يحسب ان ماله اخلده... يظن ان المال و الثروه هي التي اخرجه من الموت الي الحياة و ابقاه و اخلده علي وجه الارض و لايحتمل ظناً او وهماً علي ان له خالق و رازق غير المال و القدره. انغمر بحب الدنيا و احاطت به خطيئته من الظلم و العدوان و الکذب و البهتان و قتل النفوس و هتک النواميس. يصفهم الله تعالي في اية اخري، يقول يحبون الحياة الدنيا شديدا. يقايس شدة حبهم بالدنيا بشدة حب المومنين لخالقهم ثم يقول..و الذين امنوا اشد حبا لله... لان المومنين اتخذوا الله تعالي ربهم و ملجأهم و علموا بانه تعالي هو الذي خلقهم و رزقهم ولکن المشرکين يظنون ان الدهر او الطبيعه من الاراضي و الارزاق هي الذي خلقهم و رزقهم. فالمشرکون يحبون شيئا و المومنون يحبون شخصاً و هو الله تبارک و تعالي، و الشخص اولي و اعلي من الشيئ. فيکون المومنون اشد حباً لله من المشرکين و حبهم للدنيا. فکما ان المومنين يدافعون عن دينهم و الههم کذلک الکافرون و المشرکون يدافعون عن الههم و هي دنياهم. يقول رسول الله ص يخاطب علياع: المال يعسوب الظَلَََمه و انت يعسوب المومنين... يعني بذلک ان الظالمون اتخذوا الدنيا حاکما عليهم فعبدوها و المومنون اتخذوا عليا حاکما عليهم فاطاعوه.

ثم يصف الله تعالي النصاري بعد اليهود و يصف رقة قلبهم و شدة محبتهم لاهل الايمان و التقوي يقول: و لتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصاري ذلک بان منهم قسّيسين و رهبانا و انهم لا يستکبرون. فيذکر دلائل مودة المسيحيين بالمومنين و المسلمين يقول انهم علماء حکماء عارفين بمقام النبوه و الولايه ولکن اليهود رجال متعصبون لا يعرفون شيئا من النبوه و الرساله. و ذلک لان عيسي ع اقدم في ايام عمره کثيراًعلي تعليم امته و تربيتهم و کان يذکر لهم معارف التوحيد و مکارم الاخلاق و اخبر قومه بانه سياتي بعده نبي اسمه احمد ص . فکان يذکر خاتم الانبياء بالتعظيم و التکريم و قال فيما قال: ياليتني کنت معه في زمانه و اکون معه في حروبه و غزواته اعقد له شراک نعله اذا رکب و اُحل له شراک نعله اذا رجل،أمشي معه راجلا و هو يمشي راکبا و افتخر بذلک. فاودع بتلک التعليمات حب رسول الله ص قلب امته و کانت امته ينتظرون ظهور نبي الاسلام.

فقربت النصاري بتلک التعليمات من امة محمد ص. و الدليل الاخري انهم کانوا تارکين للدنيا و معرضين عنها فکانوا رهبانا يسکنون اودية الجبال و يعبدون ربهم. فما اکثر منهم رجال و نساء اخذوا بالرهبانيه و ترکوا الدنيا و زخارفها فقربوا بترک الدنيا حب الله و حب المومنين و النبيين. و الدليل الثالث انهم لا يتکبرون و لايستکبرون اذا سمعوا الحق من اهل الحق و کانوا خاضعين لدي الحق اذا سمعوا من اهله. فبتلک الدلائل کانوا اقرب الناس مودة للذين امنوا، خلافاً لقوم اليهود اذا هلکوا بکثرة حب الدنيا و جمع المال و بقتل الانبياء بعد موسي ع. فکانوا اشد عداوة للمومنين.

ثم يذکر الله تعالي في اية الثلاثة و الثمانين رقة قلب هؤلاء النصاري و خضوعهم لدي الحق و اهلها، يقول: و اذا سمعوا ما انزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق... يصف في هذه الايه رأس رئيسهم النجاشي سلطان الحبش حين اذ هاجر اليه جمع من المسلمين بزعامة جعفر ابن ابيطالب. و کان يوما احضر السلطان هؤلاء المهاجرين عنده يسمع منهم ما اوحي الي نبيهم. فسئلهم عما اوحي الله تعالي الي نبيهم من القران فتلي عليه جعفر ابن ابيطالب ايات من سورة مريم يصف الله تعالي فيها مريم و ابنه عيسي و قال: و اذکر في الکتاب مريم اذا انتبذت من اهلها مکانا شرقيا... ففاضت عين الملک بالدمع مما عرف من الحق و اعاذ هؤلاء المهاجرين اکراما لهم و لنبيهم في ملکه و قال لهم انتم احرار فافعلوا في ملکنا ما تشائون. فوصف الله تعالي الملک و امثاله من النصاري في هاتين الايتين.

فيصفهم الله تعالي علي قسمين. قسم منهم مومن بالله و رسوله و اليوم الاخر، فيعدهم الجنه و قسم منهم کافر بالله و رسوله و اليوم الاخر فيوعدهم النار. يحکي عن قسم الاولي منهم حين اذ يسمعون الحق يقولون: ربنا امنا فاکتبنا مع الشاهدين.. ثم يلومون انفسهم و يقولون: ما لنا لا نومن بالله و ما جائنا من الحق و نطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين...

فيذکر في اية الخمسة و الثمانين ما يثيب هؤلاء النصاري علي هذه الحرکات و الحالات يقول: فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها... ثم يذکر قوما منهم کفروا و کذبوا بايات الله. فهذه الايات و ايات اخري مثلهايدل علي ان من اهل الکتاب مومن وکافر.يقول في سايرالايات : والذين کفروامن اهل الکتاب ....فيخبران اليهودوالنصاري ليسوابکافرين کلهم بل بعض منهم مومن وبعض کافر.فالمومنون منهم امنوابانبيائهم وبنبي الاسلام وعملواعملاصالحالايظلمون احدامن عبادالله ولايزنون ولايقتلون نفساحرم الله عليهم فهؤلاء من اهل الجنه وان لم يتظاهروابالاسلام والايمان .وبعض منهم کفروابنبيهم ونبي الاسلام وبالله واليوم الاخر.فهم ظالمون يظلمون عبادالله يقتلون نفوسامنهم ومن غيرهم ويرتکبون المعاصي من الکبائروالصغائرويکذبون الانبياء . وکذلک المسلمون بعض منهم امنوابنبيهم وسايرالانبياء والائمه وعملواعملاً صالحاوبعض کفروابالله واليوم الاخروکانواظالمين کسايرالکفار.

ثم يذکر في اية السبعة و الثمانين الحلال و الحرام من الارزاق و يشير الي حرام احله الناس و حلال حرّمه الناس علي انفسهم. يقول: ياايهاالذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لکم.. و في اية اخري يقول: کلوا مما رزقکم الله حلالاً طيبا... فيشير بهذين الايتين بانّ الحلال و الحرام علي قسمين: حلال و حرام طبيعي تکويني. حلال حين خلقه الله و حرام حين خلقه الله، و حلال وحرام تشريعي انساني من جهت الامر و النهي. فهي في ذاتها و خلقتها حلال حرّمه الناس، او حرام احلّه الناس.

فهناک ينقسم الحلال و الحرام قسمين: تکوينيّ طبيعي، و تشريعيٌ انساني. فالحلال التکويني ما خلقه الله تعالي حلالاً طيباً کمثل الفواکه و الثمرات و اللحوم من الانعام الاربعه. کمثل لحم الغنم و البقر و الطيور و امثالها. و الحرام التکويني کمثل السمومات و المضرات من الفواکه و الثمرات و لحم السباع الضاريات و الطيور العاديات کمثل لحم الذئب و الکلب و الخنازير و الغراب و امثالها.

و القسم الاخري حلال يحُرمه الانسان بسوء اختياره کاموال المسروقه او اموال المجلوبة بالخيانه من الغشّ و الکذب و السرقة و الرشوه و امثالها. فالغنم في خلقتها حلال طيب و يَحرم علي الانسان بالکذب و السرقه. و هکذا حرام في خلقته و طبيعته يَحلّها الانسان علي نفسه کلحم الخنزير و الکلب، جعلها الله تعالي حراما فاحلها الناس لنفسه بالمعصيه و الکفر و العناد.

و في هذين الايتين يشير الله تعالي الي الحرام و الحلال بعمل الانسان و ارادته. فيقول لا تحرّموا طيبات ما احل الله لکم کمثل الغنم و البقر احلّه الله و جعله طيبا، فيحرم الانسان علي نفسه بالظلم و العدوان و السرقه، او غنم يذبحونه و لا يذکرون اسم الله عليه و امثال ذلک. فهؤلاء السارقون العاصون يَحرمون علي انفسهم طيباتٍ احل الله لهم.فيقول: کلوا مما رزقکم الله حلالاً طيبا... کمثل الارزاق ياتيک من طريق التجارة و الصناعة و ساير الحِرَف .

ثم يذکر الله تبارک و تعالي في اية التسعة و الثمانين حدود القَسَم و العهود و الاَيمان. لان الانسان في عيشه و حياته يعاهد الله تبارک و تعالــــي عهداً و يعاهــــد الانسان لنفســـه او علـــي نفسه عهدا اخــــري. و مـــما اوجـــب الله تعــالي علي الانسان في حياته الوفاء بالعهد. يقول له في مفتح هذه السوره: ياايها الذين امنوا اوفوا بالعقود... فيامرنا بوفاء عهودنا و عقودنا و هذه العهود بين الانسان و ربه و بني نوعه علي قسمين. عهود و عقود يجري علي لسانه لغوا و لهوا، لا يعتقده قلبه. کمثل ما يعاهد الانسان کل يوم و ليلة صديقَه او وليده او امرأته و اخوته و غير ذلک. يُقسم عليه و يقول و الله افعل کذا و کذا و اَشتري لک کذا و کذا من الامتعه. او يقول اَزورک غدا او بعد غد. يلهو و يلغو بتلک العهود و المواعيد. يقول بلسانه و لا يعقد ضميره. و تارة اخري يعاهد الانسان ربه. يقول يا رباه لو فعلتَ کذا اَفعل کذا. يُقسم بالله يقول و الله لو رزقني ربي کذا و کذا من الاموال اُصلي له او اَصوم له يوما او يومين. کل ذلک يجري علي لسانه و لا يعقد قلبه. يوصَف ذلک باَيمانٍ لغو.

و تارةً يعاهد الله تعالي جداً باعتقاد من قلبه او يعاهد انسانا کذلک باعتقاد من قلبه. يُقسم بالله تعالي ان لو فعلت کذا افعل کذا. او يقسّم الله و يُنذر له نذراً. يقول و جلالک و عزتک لو عافيتني من هذا المرض لفعلت لک کذا و کذا من صلوة او زکوة او صيام و غير ذلک، ثم لايفي بما عاهد الله تعالي و اَقسم عليه.فجعل الله تعالي لتلک العهود و العقود حدوداً. فان کان ما عهد و عقد لغوا جري علي لسانه، و ما اعتقده قلبه، لم يجعل الله تعالي له کفارةً و لا يؤاخذه بشيئ من تلک المعاهدات، فيقول تعالي:

لا يؤاخذکم الله باللغو في ايمانکم... ثم يقول ولکن يؤاخذکم بما عقّدتم الايمان...

فيجعل لنقض العهد کفارةً اذا تاب من نقض عهد الله و رسوله. فيقول کفارةُ نقض العهد لله تعالي واحدٌ من ثلاثه: الاولي: اطعام عشرة مساکين من اوسط ما تطعمون اهليکم... فيوجب علي الانسان ان يُطعم عشرة مساکين مثلما يُطعم اهل بيته، لايقلّ عليه و لا يکثر. او يکسو عشرة مساکين بقميص او قباء او ازار. الثاني تحرير رقبة مومنه. يشتري رقبة من مولاه ثم يعتقه فيجعله حُرّا. فان لم يجد الاِطعام او التحرير يصوم ثلاثه ايام. فيکفّره الله تعالي، يذود عن نفسه سيئةَ نقض العهد. فکما ان البدن و اللباس ينجس بالنجاسات فلا يطهّر الا بالغسل کذلک نفس الانسان و فطرته ينجس بالعصيان فيحتاج الي غسل و دَلکٍ، يذهب عن نفسه رين عصيانه فيطهّر قلبه بالکفاره. فيامر الله تعالي عباده ان يحفظوا عهوده و مواثيقه التي عاهدوا الله تعالي او عباده. فيقول کذلک يبين لکم اياته لعلکم تشکرون لله نعمة جبران نقض الايمان بالکفارات .

ثم يذکر الله تبارک و تعالي في اية التسعين حرمة شرب الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام... يقول: يا ايها الذين امنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون... و يذکر بعد هذه الايه حکمة حرمة شرب الخمر و الميسر يقول: يريد الشيطان ان يوقع بينکم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدکم عن ذکر الله و عن الصلوة... و في الاحاديث و الروايات تقول الائمه عليهم السلام: ان الله تعالي لم يبعث نبياً الا بحرمة شرب الخمر... و وصفوا شرب الخمر بامِّ الفساد و امِ الخبائث. کذلک حرّم الله تعالي شرب الخمر في القران و وصفها بانها من کبائر الذنوب. فتارة يقول: يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة و انتم سکاري حتي تعلموا ما تقولون... و تارة يقول: يسئلونک عن الخمر و الميسر قل فيهما اثم کبير... فلا يأذن الله تعالي ان يقرب شارب الخمر المسجد و الصلوة. و في هذه الايه يحرم الخمر جداً و يرادفه بالميسر و الانصاب. فمن يشرب الخمر کمن يعبد الاصنام و من عبد الاصنام فقد اشرک بالله العظيم. و المشرک يحرم من عفو الله تعالي و رحمته. يقول الله تعالي: ان الله لا يغفر ان يشرک به و يغفر ما دون ذلک لمن يشاء...

ثم يصف الله تعالي شرب الخمر و الميسر بانها رجس من عمل الشيطان. فيصفه بالرجاسة و الدناسه. و الرجاسه نجاسة الباطن. فکما ان الانسان ينجس لباسه و بدنه بالنجاسات و القاذورات فيتعفّن بدنه و لباسه و لا يدخل بين الناس الا ان يطهّرهما، کذلک ينجس نفسه و فطرته بالمعاصي. و في الحديث عن الامام الباقر ع يصف قلوب الناس بانها بيضاء فاذا اَذنب ذنباً يظهر في هذه الصفحة البيضاء نکتة سوداء و اذا اصرّ بالمعاصي يکثر هذه النکته حتي اذا احاط قلبه. فان الله تعالي خلق الانسان من اصلين نقيّين طاهرَين. احدهما طبيعته و مزاجه و الاخري روحه و فطرته. فالاصل الاولي و هي طبيعته و مزاجه و دمه و عروقه و اعصابه ينجس بالقاذورات و السمومات و لحم الخنزير و غير ذلک من الماکل المحرّمه. فاذا نجس بدنه و مزاجه بتلک النجاسات يجب عليه تطهيره قبل صلاته. فلا يقبل الله تعالي صلاته بثوبٍ و بدنٍ نجس. کذلک ينجس فطرته بما يزيل عقله و يزيح مروّته کمثل الانصاب و الخمر و الميسر. فانّ الميسر يُزيح مروّةَ الانسان و يُزيل عنه عواطفه الانسانيه. فلا يحب احدا و ان کان اخاه او اباه، فيقسو قلبه. يجعل نفسه في عيش هنيئه، و اخوانُه في تعب شديده. فيسلب عنه محبة الانسانيه. و شربُ الخمر کذلک يزيل عقله فلا يقدر ان يومن بربه و يَدرکَ عظمة الخالق و حساب الاخره.ينقلب بازالة العقل حيواناً بعد ان کان انسانا. فيصف الله تعالي ازالة العقل و ازاحة المروّة بالرجاسه. فالرجاسة نجاسة الباطن. فيصف بان هذه الاعمال من عمل الشيطان و يريد الشيطان ان يوقع بين الناس العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر. فيُبغض المُقامرين بعضَهم بعضاً بسلب اموالهم و يَبغض شاربُ الخمر العقلاءَ بما يسفه نفسه بينهم و يزيل عقله بين العلماء و الحکماء.

ثم يامر الله تعالي عباده باطاعة الله و رسوله و يحذّرهم عن مخالفة الله تعالي و رسوله، يقول: و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و احذروا فان توليتم فاعلموا انما علي رسولنا البلاغ المبين... و ما اکثر ما يامر الله تعالي عباده باطاعته و اطاعة رسوله.و الاطاعة بمعني امتثال امر الله و الرسول و التسليم لها و الانقياد لهما بما يامرون به و ينهون عنه. فان الانسان لا ينجو من المهالک و المفاسد في ابتداء امره و تکليفه الا بامرين: العلم و الاطاعه. فاکثر الناس او کلهم او قريبا من کلهم جهلاء في ابتداء امرهم لا يعرفون الله و لا يعرفون دينه و لا يعرفون الاعمال حُسنها و قُبحها و لا يعرفون الحلال من الحرام. فيدور الامر بين ان يهلکوا فيدخلوا نار جهنم او ينجو من المهالک بالعلم او الاطاعه. و لِما لم يکن ليحصل العلم لکل احد من النساء و الرجال في بدو امرهم جعل الله تعالي اطاعة امره و امر رسوله مقام العلم. فالاطاعة يقوم مقام العلم و الحکمه.

و النجاة من المهالک في الدنيا و الاخره يتوقف علي امرين: العلم او الاطاعة من العالم. فمن لا يعلم طريق النجات و لا يطيع العالم فهو هالکٌ قطعا. فيرسل الله تعالي رسوله الي الناس بالبينات و المعجزات ليعرفه الناس بانه عالم حکيم مامور من عند الله تعالي لينجو الناس من المهالک. فکل الناس يعرفون رسول الله و لا يعرفون دين الله حلالها و حرامها. فان التزموا اطاعة رسول الله ص يدخلون معه الجنه و يَنجَون باطاعته من النار. فمن لم يکن عالما و لا يکون مطيعا لله و رسوله فهو هالک من اهل النار حتما يقينا.

ثم يعد الله تبارک و تعالي في اية الثلاثة و التسعين اهل الايمان و التقوي بانهم اذا کانوا في طريق الايمان و التقوي و العمل الصالح اَباح الله لهم کلما خلق من النعم من الماکولات و المشروبات و الملبوسات و غيرها. فيقول: ليس علي الذين امنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا و امنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و امنوا ثم اتقوا و احسنوا و الله يحب المحسنين.. فيقول الله تعالي في هذه الايه، يخاطب اهل الايمان و التقوي بانکم اذا کنتم في طريق الحق تسلکون سبيل الله الي العلم و الايمان و التقوي و بالنهاية الي الجنه، يجوز لکم في طريق الحق ان تتنعموا بکل النعم و تنتفعوا بما خلق الله لکم من المنافع و اللذائذ في الدنيا و الاخره. فيدل هذه الايه علي ان الله تعالي حرم کل شيئ علي الذي يحيد عن طريق الحق يتبع خطوات الشيطان و يسلک سبيل الضلاله. و انه تعالي اَحل کل شيئ مما خلق لکل من سلک سبيل الحق و الزم علي نفسه التقوي و الايمان. فکل شيئ لبعض الناس حرام و کذلک کل شيئ لبعض الناس حلال. فالانسان اذا کفر بالله العظيم و اتبع هويه و سلک سبيل الشيطان فهو کسارق غاصب دخل بيت احد من الناس يسرق ماله و يغصب حقه. فاذا دخل السارق المتجاوز بحق الناس داراً بغير اذن صاحبه يحرم عليه کلما في هذا الدار و لو کان عطشانا قريبا من الهلاک لانه غاصب متصرف دار غيره بغيراذنه. فالکافر في مُلک الله تعالي کمثل هذا الغاصب السارق. دخل في ملک الله تعالي بغير اذنه، حرّم الله تعالي عليه کل شيئ مما خلق.

و لذلک يقول في اية اخري: قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا... فيخبر في هذه الايه بانه تعالي احل کل شيئ مما خلق للمومن فقط و لم يحلّ شيئا منها للکافر لان الکافر دخل دار الله و تصرّف في ملکه بغير اذنه و المومن دخل مُلک الله تعالي باذنه و تصرّف فيما تصرّف باطاعته. فالمومن کضيفٍ يدخل مَضيفاً باذن مالکه و صاحبه و الکافر کسارق غاصب يدخل دارا بغير اذن مالکه. فاباح الله تعالي کلما خلق للمومن و لم يُبح شيئا مما خلق للکافر الظالم الغاصب.

ثم يذکر لک مثالاً لبيان هذه الايه و حقيقتها. فيبيّن الله تعالي لنا بان الدين صراطٌ علميٌ تکاملي يسلکها الانسان الي ان يصل مقامه في الجنه. فالمومن کلَ يوم في حالة خاصة و معرفة مخصوصه، کالمتعلمين في المکاتب و المدارس. يتعلمون العلم شيئا فشيئا و يتدرّجون المدارج درجة بعد درجه الي ان يکملوا و يصلوا الي لقاء الله تعالي و يدخلوا الجنه في دار الاخره. و الله تبارک و تعالي ضمّن لکل احد من بدو تولده الي کماله اللّايق به رزقَه مما ياکل و ينتفع به و يقوّي بها الي اطاعة الله في السلوک الي الله تعالي. فمادام يکون الانسان في اطاعة ربه يسلک سبيله الي الجنه، اَذِن الله تعالي له ان ينتفع بکل ما خلق له في الدنيا و الاخره. فالاموال و الامتعه لهذا المومن کماء البحر يجري عليها بفلکه و سفينته الي ما يريد الله. فيخاطب الانسان يقول مادام کنت متقيا مومنا ثم تسلک سبيل التقوي و الايمان و العمل الصالح فتکمل بسلوکک الايمان و التقوي اباح الله تعالي لک کلما تنتفع به لانک تستمد بالاموال و الامتعه الي احياء دين الله تعالي و السلوک الي الجنه. فيجوز لک ان تنتفع بماء البحر حين تجري بالفلک الي ابتغاء مرضات الله.

فيذکر اولاً الايمان و التقوي و العمل الصالح. ثم يذکر الايمان و التقوي و الاحسان. فيرشدنا بذلک الي الايمان و التقوي في اوائل السلوک و الاطاعه، ثم يرشدنا الي التقوي و الاحسان في اواخر الايمان و العمل الصالح. لان العمل الصالح اعم من الاحسان الي عباد الله. فکل محسن يعمل عملا صالحا باحسانه و لعل بعض من يعمل الصالحات لا يکون محسنا بعباد الله. و الاحسان اخصُ من الايمان و العمل الصالح، يخصّ المومنَ الکامل. لان الاحسان لا يظهر الا بالاخلاص. تُحسن الي اخوانک ابتغاء مرضات الله و اولئک المحسنون اقل عددا.

ثم يذکر الله تعالي في اية الرابعة و التسعين يخبر انه تعالي يبلو الحُجاج بشيئ من الصيد تناله ايديهم و رماحهم يقول: يا ايها الذين امنوا لَيبلونّکم الله بشيئ من الصيد ....

فان الله تعالي جعل لزوّار بيته نموذجة مجسمة معلومة مبصرة من التقوي ليعرف الانسان کيف يکون التقوي اذا اراد ان يتقي ربه. فان التقوي يفسّر في لسان الناس بتفاسيرالمختلفه. بعض يقول بان التقوي فعل الواجبات فقط. فمن اطاع ربه و عمل بما اوجب الله عليه من الصلوة و الزکاة و غيرها يکون متقيا. و بعض يقول بانه ترک المحرمات و فعل الواجبات. کمن ترک الخمر و الميسر و الغيبه و قتل النفوس. فاخبر الله تعالي الناس في لباس الاحرام بکيفية التقوي. فاعلن لهم بان التقوي اَن لا تريدوا شيئا و لا تعملوا عملا و لا تاکلوا و لا تلبسوا و لا تنتفعوا بشيئ ما کان مباحا او حراما او حلالاً الا باذن الله تعالي. فامر الناس في حال الاحرام ان يلبس لباسا غير مخطّةٍ و لا مخيط و لا تشم رائحه طيبه و لا ياکل و لا يشرب ذي رائحة طيبه و لا يؤذي حشرة و حيوانا و لا يصيد صيدا و لا يامر و لا ينهي و لا يقول قولا الا باذن الله. فيحرم علي المحرم زهاءَ ثلاثين من المباحات قبل الاحرام ليعلم الناس معني التقوي. فيعلم المتقون بذلک ان المتقي لا ينوي و لا يريد و لا يقول شيئاً و لا يتحرک بحرکة و لا يسلک مسلکا و لا ينتفع بشيئ من حلال او مباح او حرام الا باذن الله. فالمحرم في احرامه يکون مثالاً للتقوي.

فيخبر في هذه الايه عن الصيد في حال الاحرام يقول: لا تقتلوا الصيد و انتم حرم و من قتله منکم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم.. فيقول من قتل صيدا من ظَبيٍ او نُعامة او حَمامه او بقره او حِمارٍ وحشيٍ و غير ذلک من الحيوانات التي يؤکل لحمه فهو آثم و يجب عليه الکفاره مِثلا بمثلٍ علي طبق ما يحکم الامام العادل. فلو قتل بقرةً وحشية يکفّر عنه ببقرة اهليه و لو قتل نُعامةً يکفر عنه بِاِبل و لو قتل ضَبُعاً يکفر عنه بغنم و لو قتل ولد ضبيٍ او مَعزٍ يکفر عنه بولد غنم اهلي او ولد معز اهلي. و کذلک قتلُ الطيور او قتل افراخها او کَسرِ بياضِها. يکفر عن کل ذلک بولد ضأن او معز او عدلُ ذلک طعاما من بُرّ و اُرُزٍ او تمرٍ او صيامٍ و غير ذلک. و من قتل جرادةً يکفر عنه بتمر. و تلک الکفارات انما يجب اذا کان من بدو امره، من غير تکرارٍ خَطَأً کان قتل الصيد او عمدا. و من اصرّ علي ذلک و قتل الصيد ثانيا او ثالثا متعمدا ينتقم الله منه. کما يقول: و من عاد( اي عاد علي الصيد )فينتقم الله منه.. لانه اصر علي کبيرة من المعاصي.

ثم يقول في اية الستة و التسعين، يحلّل لعباده صيد البحر و طعامه الذي اخذ منها: اُحل لکم صيد البحر و طعامه متاعا لکم و للسياره... يعني يجوز لکم ان تصيدوا الحيتان من البحر و امثالها مما يحل اکلها ليتمتع الناس بالحيتان و غيرها. و انما حرّم الله تعالي صيد البر و الاشارة بها للصيد و اکل طعام اخذ منه مادام يکون الانسان مُحرما. و انما حرّم الله تعالي علي الناس في حال الاحرام ما کان حلالاً قبل الاحرام ليعلّمهم کيفية التقوي و العبوديه ليعلم الناس انه عبدٌ لله تعالي و ما خلق الله علي وجه الارض طعامٌ هيّأها الله تعالي لضيوفه و عبيده و لا يجوز للعبد و الضيف ان تسرع الي طعام قبل ان ياذن له صاحبه و مالکه. فالمتقين في حياتهم ضيوف الله تعالي علي مائدته. و غير المتقين مثل الوحوش و الحيوانات ياکلون و يتمتعون الي ان يخرجهم الله تعالي عن الحياة.

ثم يذکر في اية السبعة و التسعين حکمة الحج و اجتماع الناس حول البيت يقول: جعل الله الکعبة البيت الحرام قياما للناس و الشهر الحرام و الهدي و القلائد لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات و ما في الارض... فيذکر انه تعالي جعل الحج قياما للناس للدفاع عن حقوقهم و البراز الي اعدائهم و اعداء الله. فامر الناس بالقيام الي الله تعالي و الي الحق و العدالة و الامن. فان الله تعالي جعل للناس حقوقا لو طلبوهاو اخذوها تُحيي بها عيشهم في الدنيا و الاخره. فمن تلک الحقوق ان يکونوا عباداً لله تعالي لا يشرکون به شيئا. لانّ عبوديه الانسان و ربوبية الله تعالي انما هي حق الانسان. فلو خرج عن عبادة غير الله الي عبادة الله نال بتلک الخروج الحرية و السلامه و العزة و الحياة في الدنيا و الاخره. فمِن اظلم الظُلَم ان يحکم علي الانسان و يستعبده انسانٌ اخري مثلُه فيسترقّه و يستعبده و يُحرمه من کل ما جعل الله تعالي له من العيش و الحياة. فيجب علي الانسان ان يقوم مجاهدا للخروج عن عبادة العباد الي عبادة الله تعالي لينال عزّهُ و شرفه وحريتُه. و من الحقوق التي جعل الله تعالي للانسان في حياته و عيشه العدالة و الامنيه. فيجب علي کل انسان ان يطلب العداله و الحرية و الامن من کل من هو حاکم عليه. فجعل الله تبارک و تعالي لمطالبة تلک الحقوق محل امن يخرج الانسان في تلک المقام عن عبادة عباد الله الي عبادة الله تعالي. فيطلب حقه و يستغيث الي ربه يستنصره لاحياء حقوقه. فاذا اجتمعت الناس حول البيت و خرجوا عن اطاعة الطواغيت، يطلبون حقهم من الله تعالي، فينصب الله تعالي لهم حاکما امينا صالحا ينالون به ما يجب لهم في عيشهم و حياتهم من العدالة و الحرية و الحياة في امن و امان. فلذلک يصف الله تعالي الحج بالقيام.

ثم يخوّف الله تعالي الناس عن المعصية و الخروج عن طاعة الله بترک الحج في اية الثمانية و التسعين. لان ترک الحج من اعظم الکبائر حيث يوعد الله تعالي من ترک الحج بالکفر و العقاب. فيقول في اية اخري: و لله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا و من کفر فان الله غني عن العالمين... فيکفر الله تعالي من ترک الحج و لم يکفّر احدا بساير المعاصي. لم يقل من ترک الصيام او الصلوة و غيرها ينقلب کافرا و يقول من ترک الحج انقلب کافرا. يقول من کفر( بالحج و ترکه ) فان الله غني عن العالمين. فتارِکُ الحج کافرٌ بقضاوة هذه الايه. ثم انه تعالي خوّف في هذه الايه تارک الحج بشدة العذاب و العقاب لانه بعد ما ذُکر الکعبة البيت الحرام و الشهر الحرام خوّفهم في هذه الايه بعقاب شديد يقول: اعلموا ان الله شديد العقاب( لو ترکتم حج البيت )و انه تعالي غفور رحيم( لو اقمتم حج البيت ). فالعقاب و الغفران في هذه الايه ينتهي الي زيارة بيت الله و ترک الزياره. فمن حج البيت کانه قام لله تعالي فيقوم الله تعالي له. يدخله الجنه و من لم يحج بعد الاستطاعه کانه لم يقم لله تعالي مدة عمره.

ثم يقول في اية التسعة و التسعين: ما علي الرسول الا البلاغ و الله يعلم ما تبدون و ما تکتمون... يذکر الله تعالي في هذه الايه ما يجب علي رسول الله لنجاة الانسان من تبليغ دين الله، رداً علي قوم يظنون بان رسول الله ص ارسل اليهم ليأخذ بايديهم، يدافع عنهم عند الله و يجرهم الي الجنه کما تظن النصاري لنبيهم هذا. فان النصاري اعتقدوا بضلالة المضلين بانه لا يجب عليهم العمل بما امرهم نبيهم او يترکوا عما نهيهم عنه. و قالوا بان ابن مريم ابن الله واقعاً، يجعل الله تعالي نجاة قومه بيده، کمدافع يدفع عنهم عند الله بترکهم الواجبات و فعل المحرمات. فقالوا بان عيسي ابن مريم يحمل علي ظهره خطايا امته صغيرها و کبيرها و يناجي ربه يقول يا الاهي اٍمّا ان تّدخلني نار الجحيم بخطايا امتي او تخرجهم معي الي الجنه. فيرحم الله تعالي ابن مريم و يقول تلک الجنه بيدک اُدخل انت و قومک فيها مومنين کانوا او کافرين، صالحين کانوا او فاسقين. فالجنة علي عقيدتهم ليست بالدين و العمل الصالح و العلوم و المعارف. انما هي بيد نبيه، اتخذوه وکيلا ليدافع عنهم يوم القيامه. فيخبرهم الله تعالي في هذه الاية و امثالها بان الجنة انما هي بالدين و العمل الصالح. فمن امن بالله و عمل الصالحات فهو مومن يدخل بايمانه الجنه و ان کان ابن فاجر او کافر، و من لم يومن بالله و لم يعمل صالحا يدخل النار بکفره و ان کان ابن نبي او وصي. لانه: لا انساب بينهم و لا يتسائلون...

فيجيبهم الله تعالي في اية المأه بقوله: لا يستوي الخبيث و لا الطيب و لو اعجبک کثرة الخبيث. فيخبر الله تعالي بان الکفر و الاعمال السيئه من الظلم و العدوان يجعل الانسان خبيثا ينقلب بذاته في ذاته خبيثا، يمحو بتلک الاعمال الخبيثه فطرته الاسلاميه و ذکره لله تعالي. فينقلب في ذاته و قلبه اسوداً ظلمانيا جهلا مرکبا. يظن الشر خيرا و الخير شرا. و کذلک الاعمال الصالحه يجعل الانسان في ذاته طيبا نزها طاهرا يحيي في قلبه فطرته الاسلاميه. يواجه بتلک الاعمال ربه و هو عنه راض. يخاطبه ربه بقوله: يا ايتهاالنفس المطمئنه ارجعي الي ربک... فهو في وجوده کالشمس الضاحيه و القمر المنير. تزهر بنوره السماوات و الارض تسلک سبيل ربه ذللا الي ان دخل الجنه. فالکافر و المومن في ذاتهما و وجودهما متخالفان متباينان لايجتمعان علي صعيد واحد و دار واحده. فکيف يجتمع الخبيث و الطيب؟ هل يمکن ان تحشر الذئاب مع الاغنام او الجيفة المنتنة المتعفنة علي مائده فيها من الماکل الطيبه و المشارب المعطره؟ فلا يجتمع الخبيث و الطيب ابدا. فالظلم و العدوان مع الکفر و العصيان يجعل الانسان خبيثا. و کذلک الايمان و التعاون في اطاعة الله يجعل الانسان طيبا. فکيف يحمل ابن مريم عيسي روح الله الخبائث الي الجنه؟ فتنقلب الجنة حينئذ بتلک الخبيثين و الخبيثات جحيما. فلا يجتمع الخبيثون مع الطيبين ابدا. فليس لعيسي ابن مريم و لا لولي من اولياء الله ان يحمل معه خبيثا الي الله فيشفع له. يقول الله تعالي: ما من شفيع الا من بعد اذنه....

و اللطيفة في هذه الايه تعريف الخبيث بالکثره و قباله تعريف الطيب بالقله. فالقلة و الکثرة لا يوصف به الخبيث و الطيب و انما يوصف بالکثرة و القلة الطيبون و الخبيثون. فالاية ينظر الي الافراد من الخبيث و الطيب و لا ينظر الي الخبث و الطيب. فانک تري اکثر الناس خبيثا کافرا و اقلهم طيبا مومنا. فالمومن بمنزلة الشمس في السماء و الکافر بمنزلة الهواء و الفضاء. فالشمس يضيئ العالمين من الفضاء و الارض و السماء و هي في مکان واحد. فالفضاء و السماء و الارض و الجبال اذاکان ظلمانيا، کثير في وجودها و الشمس قليل في محلها. فلا يستوي فضاء العالم و هي وسيع ظلماني و الشمس في محلها واحد نوراني.

فمومن واحد بمنزلة الشموس و الکواکب و کثير من الکافرين بمنزلة فضاء و هواء ظلماني لا يطلع عليها شمس و لا قمر. فلا يساوي کثرة الخبيث طيبا قليلا.

فيذکّر الله تعالي في اخر الايه اولي الابصار و الالباب بالتقوي يقول: فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلکم تفلحون... يخص الامر بالتقوي ذوي العقول من الناس و لا يعبأ باهل الکفر و العصيان و ان کانوا عالمين. لان مقام العقل و اللب فوق العلم. ان العقل هبةٌ الاهي في وجود الانسان کما روي عن الائمه ع يقولون: ليس العلم بکثرة التعلم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء... ان العقل و اللب يرفع بالانسان الي عالم الغيب و يصل بالانسان مقام الروح و الملائکه. فالکفار يمکنهم ان يکونوا عالمين و لا يمکنهم ان يکونوا عاقلين فقهين. فيسئل الامام ابو عبد الله جعفر ابن محمد ع عن العقل، يقول: العقل ما عبد به الرحمن و اکتسب به الجنان... يعرّف العقل بانها قوة يرقي بک الي الله تعالي و الي الملائکه، تعرف به الحق و الباطل و تري به الجنه و النار فتخاف ان تکون من اهل النار و لا تکون من اهل الجنه. فيحملک علي الايمان و التقوي تکتسب به الجنه و الجنان.

فمن کان عالما يري الطريق و لا يري المقصد و من کان عاقلا يري الطريق و المقصد. فينأي الاولي عن المقصد و يذهب الاخري الي المقصد و لا يدع الطريق حتي يصل الي المقصد. فاللب و العقل هبة من الله العليم الحکيم يهبها من يشاء من المومنين و لا يمکن ان ينال التقوي غير العاقل. العاقل متقي و المتقي عاقل و کم من عالم يکفر بالله و يعصيه فيهلک و يدخل النار.

و في اية الاحدي و مأه ينهي المومن ان يسئل من العلوم و الحکم ما لا يعنيه و لا يحتمله، يقول: يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لکم تسؤکم... و في تفسير هذه الايه يخبرنا الامام علي ابن موسي الرضا ع بان الله نهي عن القيل و القال و فساد المال و کثرة السؤال. فقيل له يا ابن رسول الله في اي اية ينهينا ربناعن کثرة السؤال؟ فقرأ هذه الايه.

فان العلوم و الحکم بمنزلة الاثقال و الاحمال يَخِفّ علي قوم و يثقُلُ علي قوم اخرين. فالاطفال و الصبيان يحملون منّاً و مَنَوين و ثلاث منوات و لا يقدرون ان يحملوا خمس منوات او اکثر، و الرجال يحملون مأة منوات من الاثقال. و العلوم کذلک يثقل علي ضعفاء العقول و يخفّ علي من قوي عقله. و في الحديث يقول الامام ع: ان حديث ال محمد صعب مستصعب لا يحتمله الا ملک مقرب او نبي مرسل او مومن امتحن الله قلبه للايمان.

و في اخر هذه الايه و الاية بعدها يقول: و ان سئلتم هذه المسائل المشکله حين نزول القران فاوضح الله لکم و لم تقبلوه يعفوکم الله عنها و الله غفور حليم. ثم يقول: قد سألها قوم من قبلکم ثم اصبحوا بها کافرين... و کل هذه المسائل المشکلة الغير المحتمله کانت منوطة بمقام ولاية علي و الائمة المعصومين ع. کانت العرب يظنون انهم کمثل علي و فاطمه، و فاطمة و علي و الائمة ع من ولدها کمثل ساير الناس. و کان يجب علي رسول الله ص ان يعرّف الائمة ع لامته ليعرفوا مقامهم و يسلّموا الامر اليهم. فعرّفهم في مثل حديث المباهله و مثل حديث الکساء. کساهم بکسوة الله تعالي و عرّفهم بانهم اهل بيت رسول الله ص الذين طهّرهم الله تعالي من الرجس تطهيرا. فلم يحتملوا مقام الولايه للائمه ع، خالفوا رسول الله ص في اهل بيته و فعلوا ما فعلوا بعده، غصبوا مقام الخلافه التي خصّ الله بهم و حملوا الناس علي اکتاف ال محمد ع. فکانوا يسئلون عن مقام الولاية سؤالاً لو بيّنها لهم رسول الله ص کفروا بها و لم يحتملوه. و في الاية الثانيه يشير الي بني اسرائيل حيث سئلوا نبيهم عن مسائل لا يناسبهم فقالوا: يا موسي ارنا الله جهرة.. او قالوا نسمع کلام الله کما تسمع و يوحي الينا کما يوحي اليک. فاخذتهم الصاعقة بهذه المسائل، اَماتهم الله تعالي بالصاعقه ثم احياهم فاصبحوا کافرين بالله العظيم بعد ان کانوا مومنين.

ثم يذکرالله تعالي بِدَع الجاهليه و ما کانوا يفترون مما اَبدعوا علي الله تعالي. فقالوا بزعمهم يکون لنا بحکم الله الاغنام التي شقت اذانهم يسمونها بحيره و يکون لنا الاغنام السائبه و هي الاغنام التي نذروها ان ترعي بلا صاحب و لا مالک ثم تاخذها و تاکلها رؤسائهم. و قالوا جعل الله السائبة لنا دون غيرنا. و کذلک قالوا فيما ابدعوا بان الحمل السابع من الاغنام جعلها الله لنا و يسمونها وصيله. و کذلک قالوا ان الجنين من هذه الابل جعلها الله لنا و يسمّونها حاما. فبهذه البدع يُحِلّون هذه الاغنام لقوم من رؤسائهم و يحرّمونها علي قوم اخري من المستضعفين ممن ملک الاغنام و يقولون هذا حکم الله و ان الله تعالي جعل البحيره و السائبه و الوصيله و الحام لنا دون غيرنا. فياکلون اموال الناس سحتاً و حراماً بلا اذن من الله تعالي و رضيً من صاحبه. فيخبرهم الله تعالي في هذه الايه و هي اية المأه و الثلاث بانه تعالي لم يجعل بحيرة و سائبة و وصيلة و حاما لاحد من الناس و من يقول ذلک فقد افتري علي الله کذبا و اکثر الناس لايعقلون و لا يعلمون بان هذه البدع و الخرافات لم ينزل من الله تعالي و لم يحکم بها. فبهذه البدع کانوا ياکلون اموال المستضعفين و يضلونهم بغير حق. فابطل الله تعالي بالاسلام هذه البدع و الخرافات کلها.

ثم يخبر عنهم بانه: اذا قيل لهم تعالوا الي ما انزل الله و الي الرسول... و اترکوا البدع و الخرافات يقولون: حسبنا ما وجدنا عليه ابائنا... فيصرّون لجاجا و الحاحا ان يکونوا و يدوموا علي هذه البدع و الخرافات. فيقول الله تعالي لهم: او لو کان ابائهم لا يعلمون شيئا و لا يهتدون... فانهم قبل ظهور الدعوة و الدين کانوا يذمّون ابائهم و اجدادهم علي هذه البدع و يعلمون بانهم مظلومون بظلم رؤسائهم و رعاتهم. فکان يجب عليهم ان يُجيبوا دعوة رسول الله ص اذا دعاهم ليخرجهم من المهالک و من عبادة العباد الي عبادة الله. لکنهم اصرّوا ان يکونوا علي دين ابائهم و اجدادهم علماً منهم بان ابائهم لايعلمون شيئاً و لايهتدون.

فيقول الله تعالي لهم في اية المأه و الخمس يخاطبهم بانه يجب عليکم رعاية انفسکم، لا يجوز لکم ان تضلوا و تهلکوا کما ضلّ و هلک ابائکم. فاحفظوا انفسکم و اعلموا بانه لا يضرکم من ضل اذا اهتديتم. فلا يضرکم ضلالة ابائکم اذا اجبتم دعوة رسول الله ص. فانّ کل نفس مرتهن بعمله يوم القيامه و لا تزر وازرة وزر اخري. فلا يعذب الاولاد بضلالة ابائهم و لا الاباء بضلالة ابنائهم. الي الله مرجعکم جميعاً فينبئکم بما کنتم تعملون .

ثم يامر الله تبارک و تعالي المومنين بحفظ الشهاده و ساير البيّنات لحفظ الحقوق و اجراء العداله و توقيف الظالم عن ظلمه، يقول: يا ايها الذين امنوا شهادة بينکم اذا حضر احدکم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منکم... فيامر المومنين باقامة شاهدَين عادلَين اذا ارادوا الوصيه بوضع مالٍ لاحدٍ من اقربائهم او لعمل خير من الاعمال. فان الوصية مما يامر الله تعالي المومنين به قبل موتهم.فانّ المومن و المومنه لا يخلو مدة حياته من ضياع حق من الحقوق. ضياع حق ابويه او رحمه او ضياع حق اخوانه المومنين. فانّ الحقوق مما يُطالَب به الانسانُ يوم القيامه.يسئلونه هل راعي حق اخيه المومن او واصل رحِمه او اَحسن جاره او بَرّ بوالديه؟.فيجب علي المومن رعاية هذه الحقوق. و ان خاف انه لم يراع حقاً من حقوق اخوانه و اقربائه يجب عليه ان يوصي برعاية هذا الحق بعد موته. يجعل مالا لابويه او اخوانه. او ظن المومن انه لو يجد توفيقا لعمل خير لعموم المسلمين، لم يبَنِ لهم بناء خير کبناء المساجد و توسيع الشوارع فيجعل من ماله سهما لهذه الخيرات. فاذا اراد ان يوصي لاحد بمال او بناء خير يجب عليه ان يبين و يکتب ما اوصاه و يُشهد علي کتابته شاهدَين عادلَين کما يقول الله تعالي: اثنان ذوا عدل منکم...

ثم يقول في هذه الايه ان انتم ضربتم في الارض خارجين من اوطانکم و عمّن يعرفکم فاصابتکم مصيبة الموت و لم تجدوا شاهدين من اخوانکم المسلمين الاّ غيرَ المسلم من اهل الکتاب، يجب عليکم ان تُشهدوهما علي وصيتکم و تجعلوا بايديهما اموالکم و ان کانوا غير مسلمين. يقول: او اخران من غيرکم... يعني شاهدان اخران من غير المسلمين، اِن انتم ضربتم في الارض فاصابتکم مصيبة الموت. ثم لاثبات هذه الوصيه و الشهاده يقول اِن شهد الشاهدان بوصيتکم عند القضاة و لم تتّهموهم و وثقتم بشهادتهم فيَثبت الوصيه و ما اوصي بها الموصي، و ان کان الشاهدان غيرمسلمين و يکونون من اهل الکتاب. لانّ اليقين و الاطمينان بالوصيه انما هي بالاعتماد، کان الشاهد مسلما او غير مسلم. و ان لم تستيقنوا بشهادتهما و شککتم فيما شهدا به الشاهدان من اهل الکتاب يحبسهما القاضي بعد صلوة الجمعه بمرئي و منظر من المسلمين، يامرهما ان يقسما بالله تعالي بانّا لا نکتم الشهاده و لا نشتري ديننا و شهادتنا بثمن قليل و ان کان ما نشهد عليه من قرابتنا و ان کتمنا شهادتنا نکون من الاثمين.

ثم يقول: فان عثر علي انهما استحقا اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان... فيامر الله تعالي المسلمين و قضاتهم يقول فان ظننتم بانّ هذين الشاهدين من اهل الکتاب يَکذبان في شهادتهما و يُقسمان بالله تعالي کِذبا و لا يخافان من غضب الله تعالي بکتمانهما الشهاده ففي هذا المورد يقومون ورثةُ الميتِ عند القاضي و يقولون بانّ شهادتنا احقّ من شهادة هذين الرجلين لانهما لا يخافان الله تعالي. فيقسمان بالله لاثبات حقهما و يقولون ما نعتدي بما نقسم عليه فان اعتدينا نکون من الظالمين.

ثم يقول لبيان اهمية هذا الطريق اَن يثبت الحق لصاحبها من طريق القسم: ذلک ادني ان ياتوا بالشهادة علي وجهها... يعني بذلک هذه اَقرب الطرق و اَدنيها لبيان الشهاده و اِحقاق الحق. لانّ البينه علي المُدّعي و اليَمينُ علي المنکِر. فمن ادّعي حقاً علي احد يجب عليه ان ياتي بالبينه علي اثبات حقه من شهادة الشاهدَين او الکتابه باملاء المُدّعي عليه. فان اُتي بالبينه يثبت حقه علي من ادّعي عليه فيحکم القاضي علي المنکِر باداء الحق و لا يحتاج الي دليل اخري. و ان لم يأت ببينه يقسم بالله لاثبات حقه، و ان و ان لم يات ببينه و لم يقسم لاثبات حقه يُقسم المنکِر علي کذب المدّعي. فان اَقسم علي کذب المدعي يرفع التخاصم بينهما فلا يحکم لاحد علي احد. و ان لم يُقسم المنکِر و ردّ القسم علي المدعي يّقسم المدعي باثبات حقه. فان اَقسم يؤخذ حقه من المنکر و ان کذّب المدعي المنکِرَ و کان من اهل الکتاب و قال انّ المنکر يأثم بما يُقسم کِذبا، يُردّ القسمُ علي المدعي ايضاً. فيقول الله تعالي هذا اَقرب الطرق الي ان لا يُرَد اَيمانٌ بعد اَيمانهم. لانه لا يجوز ان يُلغي الاَيمان و البيّنه بين المتخاصمَين بل يجب ان يثبت الحق اِما بالبينه او بالاَيمان. فان لم يُقسم المدعي عليه، يردّ الاَيمان علي المدّعي فيقسم بالله لشهادتنا اَحق من شهادة المنکر. و يقول في اخر الايه يامر الناس بتقوي الله: و اتقوا الله و اسمعوا و الله لا يهدي القوم الفاسقين...

ثم يحکم في اية المأه و التسعه، يخبر عن قضايا يقع بين الناس و انبيائهم في القيامه، يقول: يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اُجبتم قالوا لا علم لنا انک انت علام الغيوب... فان الانبياء بعد ما ماتوا و ذهبوا عن الدنيا کثر کِذبُ الناس عليهم فيَکذبون عليهم الفُسّاق و الفجره ما شائوا من البدع و الاکاذيب. کما کَذبوا علي ملک سليمان بعد وفاته و قالوا انه کان ساحرا يحکم علي الناس بسحره، لم يکن ما ظهر بيده اعجازا بامر الله بل هو بالسحر سخّر الجن و الشياطين و سخّر الطيور و الوحوش في ملکه و يَکذب فيما يقول انه يعلم منطق الطير و بسحره سخّر الرياح غدوّها شهر و رواحها شهر. فاظهروا السحر و الاکاذيب بعد سليمان. کذلک کذَبوا علي عيسي ابن مريم بانه ادعي انه ابن الله و امّه مريم صاحبة الله، کذلک کذبوا عليه و قالوا انه رخّص امته في المعاصي و الماثم. فاذن لامته ان تعملوا الفحشاء و المنکر ما امکنهم.فانّ نبيهم يسئل من الله يوم القيامه ان لا يعذب امته بنار جهنم، و غير ذلک ما کذَبواعليه. کذلک کذبوا علي رسول الله ص حتي قام خطيبا و قال: کثُرعليّ الکذّابه، مَن کذَب عليّ فليتبوّء مقعده من النار. و هکذا کذبوا علي کل نبي بعد وفاته و اضلّوا الناس عن دينه و ولايته. فيجمع الله تعالي يوم القيامه الرسل و امتهم و يقول لهم ماذا اجبتم بعد وفاتکم؟ هل اطاعتکم امتکم ام لا؟ فيامر کل نبي ان يّعلن للناس ما اعلمهم في حياته. فيظهر کِذب الناس علي الانبياء يحکم الله تعالي عليهم بنار جهنم.

و في هذه الايه يريد الله تعالي ان يخبر الانبياء بفساد امتهم و ظلمهم بعدهم و ضلالتهم عن دين نبيهم. فانّ امة کل نبي يدّعي في نفسه عند نفسه انه من امة نبيه باَدني الملابسه من اقرار اللسان و ان کان اقراره علي فسق و نفاق. کما تري امة موسي ابن عمران ع في هذه المظالم و الجنايات و الکبائر من المعاصي و البِدَع يدّعون انهم يهوديٌ من امة موسي يشفعهم يوم القيامه فيدخلهم الجنه و هم علي هذه المظالم و الجنايات. و کذلک امة عيسي ابن مريم يظنون انهم امة عيسي بادني ملابسه من الاقرار باللسان و هم علي هذه البدع و الجرائم و الجنايات و المعاصي و الماثم الکبيره و الصغيره، يقتلون الضعفاء و يشربون الخمر و يقطعون الرحم لا يعبدون ربهم و لا يرحم قويهم ضعيفهم. فهم في مثل هذه المظالم و الچنايات يظنون انهم امة عيسي ابن مريم يشفعهم الله يوم القيامه فيدخلون الجنه بشفاعة نبيهم. کذلک امة الاسلام يدّعون انهم مسلمون بادني ملابسه لساني من الشهادتين .فيظنون انهم مسلمون و هم في هذه البدع و الخرافات قتلوا ابنة رسول الله ص بعده و ترکوا ولاية علي و الائمه ع من بعده، قتلوا عليا و الحسن و الحسين عليهم السلام و سَبَوا ذرية رسول الله ص و فعلوا ما فعلوا في کربلاء، قتلوا الائمة واحدا بعد واحد. اَکل قويهم ضعيفهم و ظلموا ما شائوا الضعفاء من المسلمين. جنوا جنايات لا مثل لها في الکفار و المنافقين. فيظنون انهم مسلمون بهذه الکبائر من المعاصي و قتل اولاد الانبياء ع. فيُريَهم الله تعالي اعمالهم يوم القيامه. يخاطب موسي ابن عمران ع و يُريَه ما فعلت امته و يخاطب عيسي ابن مريم فيريه ما فعلت امته بعده من الکبائر. کذلک يخاطب خاتم رسله ص و يريه ما فعلت امته بعده. فيقول لهم هل اُجبتم في دينکم بعدکم؟ يظهر للانبياء بذلک کفر اممهم و عصيانهم لئلا يسئلوا عن ربهم العفو لاممهم الکافره و يعلموا يقينا بان امتهم من اهل النار.

فيخاطب الله تعالي عيسي ابن مريم و هو قائم علي امته يوم القيامه يري امته و تريه امتُه. فيذکّرقبال الامه ما انعم الله عليه و والدته ليعلم امته بانهم کَذَبوا علي نبيهم حين اذ قالوا انه الله او انه ابن الله او هو ثالث ثلاثه لانه ان کان اله او ابن الهه کان غنيا في وجوده بعلمه و قدرته و لايحتاج الي الله تعالي ان ينعم عليه. فيذکر الله تعالي ما انعم علي عيسي ابن مريم قبال امته لتعرف امته بانه لم يکن اله و لا ابن الههم و لا ثالث ثلاثه فيقول: يا عيسي ابن مريم اذکر نعمتي عليک و علي والدتک اذ ايدتک بروح القدس تکلم الناس في المهد و کهلا و اذ علمک الکتاب و الحکمه و التوراة و الانجيل و اذ تخلق من الطين کهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتکون طيرا باذني و تبرء الا کمه و الابرص باذني و اذ تخرج الموتي باذني و اذ کففت بني اسرائيل عنک اذ جئتهم بالبينات فقال الذين کفروا منهم ان هذا الا سحر مبين.

فيذکر الي اخر السوره ما انعم علي عيسي و مريم من النعم و الحکمه و الايمان و التوفيق لتعلم امتهما بانهما لم يکونا من جنس الله و لا من وُلده و لا صاحبته بل هما کانا عبدَين من عبيد الله انعم الله تعالي عليهما بالحکمه و البينات ليخرج عن اذهانهم و افهامهم ما ابدعوا و کذبوا علي الانبياء و نزّلوا الرب عن منزلة ربوبيته فظنوه کمثل الانسان ياکل و يلد و يفعل ما يليق الا بالانسان.

ثم يذکر الله تعالي ما امر به الحواريين ان يومنوا بالله و رسوله يقول: و اذ اوحيت الي الحواريين ان امنوا بي و برسولي قالوا امنا و اشهد باننا مسلمون. و هذا ايضا مما انعم الله تعالي علي عيسي ابن مريم اذ عطف بقلب طائفه من المومنين ان يومنوا بالله و رسوله و ينصروه و ينصروا دينه في شدة غربته قبال هجم بني اسرائيل عليه. فلو لم يکن له ناصر و معين من بني اسرائيل لقتلوه او اخرجوه من ديارهم. فاوحي الي الحواريين من المومنين ان يومنوا بالله و رسوله.

فان الحواريين و ان لم يکونوا نبيا يوحي اليهم و لکن الله تعالي يوفّق المومنين بالايمان او يامرهم في روياهم الصادقه ان يومنوا بالله و رسوله. کما تري بعض المومنين في زماننا يرون الرؤيا فامرهم الله في روياهم ان يقدّموا علي زيارة امام او زيارة بيت الله و غير ذلک مما هو من الدين اذا اراد ان يترک سنةً حسنةً من مثل الاطعام في عزاء الحسين ع. يري في نومه ينهيه الله تعالي عن ذلک. فمثل هذه الرؤيا وحي من الله تعالي و امر منه يامر عباده بالتقوي.

ثم يذکر في اية الماه و الاثني عشر ما قالت الحواريون و طلبوا من نبيهم ان ينزل عليهم مائدة من السماء. فانهم لمّا سمعوا ان الله تعالي انزل المائدة علي موسي في بيداء يتيهون فيه، اخرج اليهم الماء من الحجر و انزل اليهم المنّ و السلوي طلبوا من نبيهم ان تُنزّل عليهم مائدةٌ من السماء. فقال لهم عيسي ع: اتقوا الله ان کنتم مومنين.

لانّ من امن بالله و علم انه علي کل شيئ قدير لا يطلب مثل هذه المعجزات و خوارق العادات و من طلب مثل هذه المعجزات کانه يکلّف الله علي عمل لا يرضيه و لا يجوز للعبد ان يطلب من الله شيئا لا يريد. فلذلک قال لهم عيسي ع اتقوا الله و لا تطلبوا من ربکم مثل هذه الامور.

فقالوا بعد ما امرهم نبيهم بالتقوي: نريد ان ناکل منها و تطمئن قلوبنا و نعلم ان قد صدقتنا و نکون عليها من الشاهدين...

فاظهروا لنبيهم انهم لا يريدون المائده للاکل فقط بل يريدون ان يعلموا بذلک صدق نبيهم و يرون باعينهم المعجزات فيبلّغون دين نبيهم بعده. فاجابهم عيسي ابن مريم فطلب من الله تعالي ان يَنزل عليهم مائدة من السماء تکون عيدا لهم في دينهم کما جعل الله تعالي عيدا لامة موسي ع يسمي عيد الصفح. فاجابهم الله تعالي بنزول المائده فقال: اني منزّلها عليکم فمن يکفر بعد منکم فاني اُعذبه عذابا لا اعذبه احداً من العالمين.

فهدّدهم الله تعالي و خوّفهم بالعذاب اِن لم يومنوا بعد نزول المائده. لان الناس في سعة من اطاعة الله ما کانوا جاهلين غير عارفين. و بعد ان عرفوا عظمة ربهم و رأوا الايات من الله تعالي يَسُدّ عليهم باب التوبة و يرفع عنهم المهلة و الانظار اذ لم يومنوا. فقال الله تعالي انّي منزّل المائده عليکم من السماء فمن يکفر منکم بعد نزول المائده يعذب عذابا شديدا. لانّ من يري عظمة الله تعالي في ظهور مثل هذه الايات و المعجزات ثم لم يومن بربه يجعل نفسه في معرض الهلاکه.

ثم يقول الله تعالي في اية الماه و ستة عشر يحکي ما خاطب نبيه عيسي ابن مريم، رداً علي امته اذ جعلوه الاها او ابن اله:

يا عيسي ابن مريم أ انت قلت للناس اتخذوني و امي الهَين من دون الله؟... فکاَنّ الله تعالي يعلم بان عيسي و امه لم يدّعيا الالوهيه و الربوبيه لکنّه تعالي يستفهم ليبيّن لامته بانهم اَبدعوا الربوبية لنبيهم فجعلوه الها او ابن اله و لم يقل لهم نبيهم انّي اله من دون الله فاعبدوني. فيقول عيسي ع في الجواب: سبحانک ما يکون لي ان اقول ما ليس لي بحق. ان کنت قلته فقد علمته...الي اية السبعة عشر بعد المأه.

فيحکي الله تعالي عن قول عيسي ابن مريم و امه بانهما لم يامرا الناس ان يجعلوهما الهين من دون الله بل امرا الناس ان يعبدوا ربهم کما عبد اللهَ تعالي عيسي و امه. فامة المسيح اِن کانوا معتقدين بانّ عيسي ع عبد ربه و اخلص له دينه لايجوز لهم ان يجعلوه الها و يعبدونه کما عبدوا الله تعالي. فتعلم امة المسيح انهم مُبدِعون في هذه العقائد. يُکذّبون الانبياء و ما جائوا به من مسائل التوحيد و الايمان فيستحقون العذاب الدائم. و لذلک يقول عيسي يخاطب ربه بقوله: ان تعذّبهم فانهم عبادک و ان تغفر لهم فانک انت العزيز الحکيم... يجعل امر القيامة ما يعذب او يغفر و يقبل التوبة عن عباده او لا يقبل کلها بيد الله تبارک و تعالي.لان قوم المسيح کما ظنوا ابنَ مريم الها من دون الله او ابن اله، جعلوا العذاب و الرحمة و قبول التوبة و العفو و المغفره کلها بيد عيسي و امه ع. فقالوا انهما امّا اَن يعذبا امتهما في القيامه و امّا اَن يعفوَا عنهم. جعلوا ما بيد الله تعالي من العذاب و المغفره بايدي نبيهم. ففي هذه الايه يحکي الله تعالي عن نبيه يخاطب ربه: ان تعذبهم فانهم عبادک...

فيصدّق الله تعالي قول نبيه مِن اَنه عَبَد ربه و لم يدّعي الربوبيه و الالوهية ابدا و لم يقل لامته انه الذي يغفر الذنوب و يقبل التوبة عن الامه. فيحکي الله تعالي هذه الامور عن نبيه لينکر علي امة المسيح ان جعلوا نبيهم الههم او ابن الههم لانه ان کان اله او ابن اله يجوز ان يامر الناس بعبادته دون عبادة الله و يجوز له ان يعذب امته او يعفو عنهم کما هي شان الله تعالي خالق السماوات و الارض. فکذّب عيسي ابن مريم کلما کذَبت عليه امته. فقال الله تعالي: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم و رضوا عنه... يعني بذلک انه تعالي يرضي عن عيسي و امه عليهما السلام بما صدقوا و يعذب امته بما کذَبوا عليه.

و في الاية الاخر من هذه السوره يحکي الله تعالي عن نفسه بانه مليک السماوات و الارض و ما بينهما و هو علي کل شيئ قدير. فيدل هذه الاية الشريفه بان في السماوات عوالم و في هذه العوالم خلائق ذوي العقول کما في عالَمنا علي وجه الارض. فان کانت السماوات بمعني الهواء و الفضاء الي نهايتها لا مخلوق فيها من ذوي العقول، يُبطل ما يدّعي ربنا بانه ملِکُ السماوات کما انه ملِک الارض. فان المُلک لا يحصل لاحد، اَن يملک الاشياء مثل الاراضي و الحدائق و الزراعات و الاغنام و الانعام. فمن ملک الاغنام و الاموال لا يکون ملِکا بل هو مالک. فالمَلِک من ملک ذوي العقول و يحکم عليهم کمن ملک الانسان. و الملوک يکونون ملوکا لِما يملکون ذوي العقول و يحکمون عليهم. فاذا قال الله تعالي بانه مليک السماوات يدلنا بهذا القول اَنّ في السماوات عوالم کالارض يعيش فيها ذوي العقول و ان الله تعالي يملکهم و يحکم عليهم.

فهذه الايات يدل علي سعة ملکه تعالي و انه مليک السماوات و الارض. ثم انه تعالي يدلنا بمثل هذه الايات علي انه احاط بعلمه و قدرته الانسان في الدنياو الاخره و لا يخرج احد عن ملکه تعالي. فمن مات و خرج عن الدنيا دخل في ملکه تعالي و من لم يمت و بقي في الدنيا ينقلب في ملک الله تعالي. فلا يخرج احد من الاموات و الاَحياء عن حيطة ملکه تعالي و انه يحوط بهم بقدرته و علمه في الدنيا و الاخره. فهو علي کل شيئ قدير.

صدق الله العلي العظيم . و انا العبد محمد علی صالح غفاری